الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (262) قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم (263) يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين (264)

البقرة 261 - 264
يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين أو يزيد على سبعمائة لمن يشاء يضعف شامى ويضعف مكى والله واسع واسع الفضل والجود عليم بنيات المنفقين الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا هو أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقا له وكانوا يقولون إذا صنعتم صنيعة فانسوها ولا أذى هو أن يتطاول عليه بسبب ما أعطاه ومعنى ثم إظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والأذى و أن تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الإيمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا لهم أجرهم عند ربهم أى ثواب انفاقهم ولا خوف عليهم من بخس الأجر ولا هم يحزنون من فوته أو لا خوف من العذاب ولا حزن بفوات الثواب و وإنما قال هنا لهم أجرهم وفيما بعد فلهم أجرهم لأن الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسئول أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل خير من صدقة يتبعها أذى وصح الاخبار على المبتدأ الكرة لاختصاصه بالصفة والله غنى لا حاجة له إلى منفق يمن ويؤذى حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذ وعيد له ثم أكد ذلك بقوله يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير بطلا مثل ابطال الذى ينفق ما رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر أى لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والأذى كابطال المنافق الذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يريد بإنفاقه رضا الله ولا ثواب الاخرة ورئاء مفعول له فمثله كمثل صفوان عليه تراب مثله ونفقته التى لا ينتفع بها ألبته بحجر أملس عليه تراب فأصابه وابل

مطر عظيم القطر فتركه صلدا أجرد نقيا من التراب الذى كان عليه لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا يجدون ثواب شيء مما أنفقوا أو الكاف فى محل النصب على الحال

ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير (265) أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون (266)

البقرة 264 - 266
أى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذى ينفق و إنما قال لا يقدرون بعد قوله كالذى ينفق لأنه أراد بالذى ينفق الجنس أو الفريق الذى ينفق والله لا يهدى القوم الكافرين ماداموا مختارين الكفر ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم أى وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم لأنه إذا أنفق المسلم ماله فى سبيل الله علم ان تصديقه و إيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن لابتداء الغاية وهو معطوف على المفعول له أى للابتغاء والتثبيت والمعنى ومثل نفقه هؤلاء فى زكاتها عند الله كمثل جنة بستان بربوة مكان مرتفع وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا بربوة عاصم وشامى أصابها وابل فآتت أكلها ثمرتها أكلها نافع ومكى و أبو عمرو ضعفين مثلى ما كانت تثمر قبل بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها رضا الله تعالى زاكية عند الله زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عنده والله بما تعملون بصير يرى أعمالكم على إكثار وإقلال ويعلم نياتكم فيهما من رياء وإخلاص الهمزة فى أيود أحدكم للانكار أن تكون له جنة بستان من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له لصاحب البستان فيها فى الجنة من كل الثمرات يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيها أو أن

النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منها و إن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات وأصابه الكبر الواو للحال ومعناه أن تكون له جنة وقدأصابه به الكبر والواو فى وله ذرية ضعفاء أولاد صغار للحال أيضا والجملة فى موضع الحال من الهاء فى أصابه فأصابها إعصار ريح تستدير فى الأرض ثم تسطع نحوالسماء كالعمود فيه فى الاعصار وارتفع نار بالظرف إذ جرى الظرف وصفا لاعصار فاحترقت الجنة وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة رياء فإذا كان يوم القيامة

يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد (267) الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (268) يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب (269) وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار (270)

البقرة 266 - 270
وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة كذلك كهذا البيان الذى بين فيما تقدم يبين الله لكم الآيات فى التوحيد والدين لعلكم تتفكرون فتنتبهوا يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم وفيه دليل وجوب الزكاة فى أموال التجارة ومما أخرجنا لكم من الأرض من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردئ منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو فى محل الحال أى ولا تيمموا الخبيث منفقين أى مقدرين النفقة ولستم بآخذيه وحالكم أنكم لا تأخذونه فى حقوقكم إلا أن تعمضوا فيه إلا بأن تتسامحوا فى أخذه وتترخصوا فيه من قولك أعمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره ويقال للبائع أغمض أى لا تستقص كانك لا تبصر وعن ابن عباس رضى الله عنهما

كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا أن الله غنى عن صدقاتكم حميد مستحق للحمد أو محمود الشيطان يعدكم فى الانفاق الفقر ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفقروا والوعد يستعمل فى الخير والشر ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات واغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم فى الانفاق مغفرة منه لذنوبكم وكفارة لها وفضلا و أن يخلف عليكم أفضل مما انفقتم أو ثوابا عليه فى الآخرة والله واسع يوسع على من يشاء عليم بأفعالكم ونياتكم يؤتى الحكمة لمن يشاء علم القرآن والسنة أو العلم النافع الموصل إلى رضا الله والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل ومن يؤت الحكمة ومن يؤت يعقوب أى ومن يؤته الله الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا تكير تعظيم أى أوتى خيرا أى خير كثير وما يذكر الا أولوا الألباب وما يتعظ بمواعظ الله إلا ذو العقول السليمة أو العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآى فى معنى الانفاق وما أنفقتم

إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير (271) ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون (272)

البقرة 270 - 272
من نفقة فى سبيل الله أو في سبيل الشيطان أو نذرتم من نذر فى طاعة الله أو فى معصيته فإن الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم فى المعاصى أو ينذرون فى المعاصى أو لا يفون بالنذور من أنصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه إن تبدوا الصدقات فنعما هى فنعم شيأ ابداؤها وما نكرة غير موصلة ولا موصوفة والمخصوص بالمدح هى فنعما هى بكسر النون وإسكان العين أبو عمرو ومدنى غير ورش وبفتح النون وكسر العين شامى وحمزة وعلى وبكسر النون والعين غيرهم و إن تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم قولوا المراد

صدقات التطوع والجهر فى الفرائض أفضل لنفى التهمة حتى إذا كان المزكى من لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل والمتطوع إن أراد أن يفتدى به كان إظهاره أفضل و نكفر بالنون وجزم الراء مدنى وحمزة وعلى وبالياء ورفع الراء شامى وحفص وبالنون والرفع غيرهم فمن جزم فقد عطف على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط ومن رفع فعلى الاستئناف والياء على معنى يكفر الله عنكم من سيآتكم والنون على معنى نحن نكفر والله بما تعملون من الابداء والإخفاء خبير عالم ليس عليك هداهم لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهى فحسب ولكن الله يهدى من يشاء أو ليس عليك التوفيق على الهدى أو خلق الهدى و إنما ذلك إلى الله وما تنفقوا من خير من مال فلأنفسكم فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وليست نفقتكم إلا ابتغاء وجه الله أى رضا الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله إلى الله أو هذا نفى معناه النهى أي ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم فى أن ترغبوا عن إنفاقه و أن يكون على أحسن الوجوه وأجملها وأنتم

للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم (273) الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (274) الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (275)

البقرة 272 - 275
لا تظلمون ولا تنقصون كقوله ولم تظلم منه شيأ أى لم تنقص الجار فى للفقراء متعلق بمحذوف أى اعمدوا للفقراء أو هو خبر مبتدأ

محذوف أى هذه الصدقات للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله هم الذين أحصرهم الجهاد فمنعهم من التصرف ولا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا فى الأرض للكسب وقيل هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم تكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر فكانوا فى صفة المسجد وهى سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فكل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى يحسبهم الجاهل بحالهم بحسبهم وبابه شامى ويزيد وحمزة وعاصم غير الاعشى وهبيرة والباقون بكسر السين أغنياء من التعفف مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجوه ورثاثة الحال لا يسألون الناس إلحافا إلحاحا قيل هو نفى السؤال والإلحاح جميعا كقوله على لا حب لا يهتدى بمناره يريد نفى المنار والاهتداء به والإلحاح هو اللزوم و أن لا يفارق إلا بشئ يعطاه وفى الحديث إن الله يحب الحيى الحليم المتعفف ويبغض البذى السآل الملحف وقيل معناه أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم لا يضيع عنده الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية هما حالان أى مسرين ومعلنين يعنى يعممون الاولقات والاحوال بالصدقة لحصرهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه حيث تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية أو فى على رضى الله عنه لم يملمك إلا أربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ياكلون الربوا هو فضل مال خال عن العوض فى معاوضة مال بمال وكتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كماكتبت الصلوة والزكوة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون إذا بعثوا من قبورهم إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان أى المصروع لأنه تخبط فى المعاملة فجوزى

يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم (276) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (277) يا أيها

الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين (278)

البقرة 275 - 278
على المقابلة والخبط الضرب على غير استواء كحبط العشواء من المس من الجنون وهو يتعلق بلا يقومون أى لا يقومون من المس الذى بهم إلا كما يقوم المصروع أو بيقوم أى كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون الأكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله فى بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض ذلك العقاب بأنهم بسبب أنهم قالوا إنما البيع مثل الربوا ولم يقل إنما الربا مثل البيع مع أن الكلام فى الربا لا فى البيع لأنه جىء به على طريقة المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم فى حل الربا أنهم جعلوه اصلا وقانونا فى الحل حتى شبهوا به البيع وأحل الله البيع وحرم الربوا إنكار لتسويتهم بينهما إذ الحل مع الحرمة ضدان فانى يتماثلان ودلالة على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهى عن الربا فانتهى فتبع النهى وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه اخذ قبل نزول التحريم وأمره إلى الله يحكم فى شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد إلى استحلال الربا عن الزجاج أو إلى الربا مستحلا فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لأنهم بالاستحلال صاروا كافرين لأن من أحل ما حرم الله عز وجل فهو كافر فإذا استحق الخلود بهذا تبين أنه لا تعلق للمعتزلة بهذه الآية فى تخليد الفساق يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذى يدخل فيه ويربى الصدقات ينميها ويزيدها أى يزيد المال الذى أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفى الحديث ما نقصت زكاة من مال قط والله لا يحب كل كفار عظيم الكفر باستحلال الربا أثيم متماد فى الاثم بأكله أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قيل المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربو أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها روى أنها

فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (279)

البقرة 278 - 282
نزلت فى ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا إن كنتم مؤمنين كاملى الإيمان فان دليل كماله امتثال المأمور به فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فاعلموا بها من أذن بالشئ إذا علم يؤيدة قراءة الحسن فايقنوا فآذنوا حمزة و أبو بكر غير ابن غالب فاعلموا بها غيركم ولم يقل بحرب الله ورسوله لأن هذا أبلغ لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى أنها لما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله و إن تبتم من الارتباء فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها و إن كان ذو عسرة و إن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة ذو إعسار فنظرة فالحكم أو فالأمر نظرة أى إنظار إلى ميسرة يسار ميسرة نافع وهما لغتان و أن تصدقوا بالتخفيف عاصم أى تتصدقوا برؤس أموالكم أو ببعضها على من أعسر من غرمائكم وبالتشديد غيره فالتخفيف على حذف إحدى التاءين والتشديد على الإدغام خير لكم فى القيامة وقيل أريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به و إن علمه كأنه لا يعلمه واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ترجعون أبو عمرو فرجع لازم ومتعد قيل هي آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها فى رأس المائتين والثمانين من البقر وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما أو إحدا وثمانين أو سبعة أيام أو ثلاث ساعات ثم توفى كل نفس ما كسبت أي جزاء ما كسبت وهم لا يظلمون بنقصان الحسنات وزيادة السيآت يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين أى إذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل إذا عاملته بدين معطيا أو آخذا إلى أجل مسمى مدة معلومة كالحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج و وإنما احتيج إلى ذكر الدين ولم يقل إذا تداينتم إلى اجل مسمى ليترجع الضمير إليه فى قوله فاكتبوه إذ لو لم يذكر

لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن و لأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال و إنما أمر بكتابة الدين لأن ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه والأمر

فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (279)

البقرة 282
للندب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلف المضمون إلى أجل معلوم فى كتابه و أنزل فيه أطول آية وفيه دليل على اشتراط الأجل فى السلم وليكتب بينكم بين المتداينين كاتب بالعدل هو متعلق بكاتب صفة له أى كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه دليل أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجئ مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمتدينين بتخير الكاتب و ألا يستكتبوا إلا فقيها دينا حتى يكتب ما هو متفق عليه ولا يأب كاتب ولا يمتنع واحد من الكتاب أن يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وكما متعلق بأن يكتب فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها وليملل الذى عليه الحق ولا يكن المملى إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته فى ذمته وإقراره به فيكون ذلك إقرارا على نفسه بلسانه والإملال والإملاء لغتان وليتق الله ربه وليتق الله الذى عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الإملاء فيكون جحودا لكل حقه ولا يبخس منه شيئا ولا ينقص من الحق الذى عليه شيئا فى الإملاء فيكون جحودا لبعض حقه فان كان الذي عليه الحق سفيها أى مجنونا لأن السفه خفة فى العقل أو محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف أو ضعيفا صبيا أو لا يستطيع أن يمل هو لعى به أو خرس أو جهل باللغة فليملل وليه الذى يلى امره ويقوم به بالعدل بالصدق والحق
واستشهدوا شهيدين واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الإسلام وشهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان

وشهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون من الشهداء ممن تعرفون عدالتهم وفيه دليل على أن غير المرضى شاهد أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى لأجل أن تنسى أحداهما الشهادة فتذكرها الأخرى إن تضل إحداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد حمزة كقوله ومن عاد فينتقم الله منه

فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (279) وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون (280) واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (281) يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم (282) وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم (283)

البقرة 282
فتذكر بالنصب مكى وبصرى من الذكر لا من الذكر ولا يأب ال إذا ما دعوا لأداء الشهادة أو للتحمل لئلا تتوى حقوقهم وسماهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن فالأول للفرض والثاني للندب ولا تسأموا ولا تملوا قال الشاعر ... سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ... ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

والضمير فى أن تكتبوه للدين أو الحق صغيرا أو كبيرا على أى حال كان الحق من صغر او كبر وفيه دلالة جواز السلم فى الثياب لأن ما يكال أو يوزن لا يقال فيه الصغير والكبير و إنما يقال فى الذرعى ويجوز أن يكون الضمير للكتاب و أن يكتبوه مختصرا أو مشبعا إلى أجله إلى وقته الذى اتفق الغريمان على تسميته ذلكم إشارة إلى أن تكتبوه لأنه فى معنى المصدر أى ذلك الكتب أقسط أعدل من القسط وهو العدل عند الله ظرف لا قسط وأقوم للشهادة وأعون على إقامة الشهادة وبنى أفعلا التفضيل أى أقسط وأقوم من اقسط وأقام على مذهب سيبويه وأدنى أن لا ترتابوا وأقرب من انتفاء الريب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فإنه قد يقع الشك فى المقدار والصفات و إذا رجعوا إلى المكتوب زال ذلك وألف أدنى منقلبة من واو لأنه من الدنو إلا أن تكون تجارة حاضرة عاصم أى إلا أن تكون التجارة تجارة أو إلا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة غيره تجارة حاضرة على كان التامة أى إلا أن تقع تجارة حاضرة أو هى ناقصة والاسم تجارة حاضرة والخير تديرونها وقوله بينكم ظرف لتديرونها ومعنى إدارتها بينهم تعاطيها يدا بيد فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها يعنى إلا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس ألا تكتبوها لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم فى التداين وأشهدوا إذا تبايعتم أمر بالإشهاد على التبايع مطلقا ناجزا أو كالئا لأنه أحوط وأبعد من وقوع الإختلاف أو أريد به وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع يعنى التجارة الحاضرة على أن الإشهاد كاف فيه دون الكتابة والأمر للندب ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضى الله عنه ولا يضارر وللمفعول لقراءة ابن عباس رضى الله عنهما ولا يضار والمعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهى عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم ويلزا أولا يعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد و إن تفعلوا و إن تضاروا فانه فان

لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير (284)

الضرار فسوق بكم مأثم واتقوا الله فى مخالفة أ ويعلمكم الله شرائع دينه والله بكل شيء عليم لا يلحقه سهو ولا قصور و إن كنتم أيها المتداينون على سفر مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهن فرهان مكى و أبو عمرو أى فالذى يستوثق به رهن وكلاهما جمع رهن كقف وسقف وبغل وبغال ورهن فى الأصل مصدر سمى به ثم كسر تكسير الأسماء ولما كان السفر مظنة لا عواز الكتب والاشهاد أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والإشهاد لأن السفر شرط تجويز الارتهان وقوله مقبوضة يدل على اشتراط القبض لا كما زعم مالك أن الرهن يصح بالإيجاب والقبول بدون القبض فان أمن بعضكم بعضا فان أمن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن فليؤد الذي ائتمن أمانته دينه وائتمن افتعل من الامن وهو حث للمدين على أن يكون عند ظن الدائن وأمنه منه وائتمانه له و أن يؤدى إليه الحق الذى ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لإئتمانه عليه بترك الارتهان منه وليتق الله ربه فى إنكار حقه ولا تكتموا الشهادة هذا خطاب للشهود ومن يكتمها فانه آثم قلبه ارتفع قلبه بآثم على الفاعلية كأنه قيل فإنه يأثم قلبه أو بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبران وإنما أسند إلى القلب وحده والجملة هي الآئمة لا القلب وحده لأن كتمان الشهادة أن يضمرها فى القلب ولا يتكلم بها فلما كان إثما مقترفا مكتسبا بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التى يعمل بها أبلغ كما تقول هذا مما أبصرته عينى ومما سمعته أذنى ومما عرفه قلبى و لأن القلب رئيس الأعضاء والمضغة التى إن صلحت صلح الجسد كله و إن فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم فى أصل نفسه وملك أشرف مكان منه و لأن أفعال القلوب أعظم من افعال سائر الجوارح ألا ترى أن أصل الحسنات والسيآت الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب و إذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضى الله عنهما أكبر الكبائر الإشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة والله بما تعملون من كتمان الشهادة وإظهارها عليم لا يخفى عليه شيء لله ما فى السموات وما فى الأرض خلقا وملكا و إن تبدوا ما فى

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير (285)

البقرة 284 - 285
أنفسكم أو تخفوه يعنى من السوء يحاسبكم به الله يكافئكم ويجازيكم ولا تدخل الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الانسان لأن ذلك مما ليس فى وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه والحاصل أن عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوة وعزم الذنوب إذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور فأما إذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك إلا أنه منع عنه بمانع ليس باختياره فإنه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله أى بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا قيل لا لقوله عليه السلام إن الله عفى عن أمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به والجمهور على أن الحديث فى الخطرة دون العزم و أن المؤاخذة فى العزم ثابتة و إليه مال الشيخ أبو منصور وشمس الأئمة الحلوانى رحمهما الله والدليل عليه قوله تعالى إن الذين يحبون أن تشيع الفاشحة الآية وعن عائشة رضي الله عنها ما هم العبد بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك ما يلحقه من الهم والحزن فى الدنيا وفى أكثر التفاسير أنه لما نزلت هذه الآية جزعت الصحابة رضى الله عنهم وقالوا أنؤاخذ بكل ما حدثت به أنفسنا فنزل قوله آمن الرسول إلى قوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب دون العزم وفى بعضها أنها نسخت بهذه الآية والمحققون على أن النسخ يكون فى الأحكام لا فى الإخبار فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء برفعهما شامى وعاصم أى فهو يغفر ويعذب ويجزمهما غيرهم عطفا على جواب الشرط وبالإدغام أبو عمرو وكذا فى الاشارة والبشارة وقال صاحب الكشاف مدغم الراء فى اللام لاحن مخطئ لأن الراء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف ولا يجوز ادغام المضاعف وراوية عن ابى عمرو مخطى مرتين لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس فى العربية ما يؤذن بجهل عظيم والله على كل شيء من المغفرة والتعذيب وغيرهما قدير قادر آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون إن عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير الذى التنوين نائب عنه فى كل راجعا إلى

الرسول والمؤمنون أى كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ووقف عليه و أن كان مبتدأ كان عليه كل مبتدأ ثانيا والتقدير كل منهم وآمن خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر الأول وكان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل من آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكتابه حمزة وعلى يعنى القرآن أو الجنس لا نفرق أى يقولون لا نفرق بل نؤمن بالكل بين احد من رسله أحد فى بمعنى الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل إلا على اسم يدل على أكثر

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير (285) لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (286)

البقرة 285 - 286
من واحد تقول المال بين القوم ولا تقول المال بين زيد وقالوا سمعنا أجبنا قولك أطعنا أمرك غفرانك أى اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر ربنا وإليك المصير المرجع وفيه اقرار بالبعث والجزاء والآية تدل على بطلان الاستثناء فى الإيمان وعلى بقاء الإيمان لمرتكب الكبائر لا يكلف الله نفسا محكى عنهم أو مستأنف إلا وسعها إلا طاقتها وقدرتها لأن التكليف لا يرد إلا بفعل يقدر عليه المكلف كذا فى شرح التاويلات وقال صاحب الكشاف الوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أى لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى غاية الطاقة والمجهود فقد كان فى طاقة الإنسان أن يصلى أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لأن الافتعال للانكماش والنفس تنكمش فى الشر وتتكلف للخير ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا تركنا أمرا من أوامرك سهوا أو أخطأنا ودل هذا على جواز المؤاخذة فى النسيان والخطأ خلافا للمعتزلة لا مكان التحرز عنهما

فى الجملة ولولا جواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى ربنا ولا تحمل علينا إصرا عبأ يأصر حامله أى يحبسه مكانه لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك كما حملته على الذين من قبلنا كاليهود ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا واعف عنا امح سيآتنا واغفر لنا واسترد ذنوبنا وليس بتكرار فالأول للكبائر والثاني للصغائر وارحمنا بتثقيل ميزاننا مع افلاسنا أو الأول من المسخ والثاني من الخسف والثالث من الغرق أنت مولانا سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولى أمورنا فانصرنا على القوم الكافرين فمن حق المولى أن ينصر عبيده فى الحديث من قرأ آمن الرسول إلى آخره فى ليلة كفتاه وفيه من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل ويجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة لما روى عن على رضى الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال بعضهم يكره ذلك بل يقال قرأت السورة التى تذكر فيها البقرة والله أعلم

الم (1) الله لا إله إلا هو الحي القيوم (2) نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل (3) من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام (4) إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء (5) هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم (6)

آل عمران 1 - 6
سورة آل عمران نزلت بالمدينة وهى مائتا آية
بسم الله الرحمن الرحيم
ألم الله حركت الميم لالتقاء الساكنين أعنى سكونها وسكون لام الله وفتحت لخفة الفتحة ولم تكسر للياء وكسر الميم قبلها تحاميا عن توالى الكسرات وليس فتح الميم لسكونها وسكون ياء قبلها إذ لو كان كذلك لوجب فتحها فى حم ولا يصح أن يقال أن فتح الميم هو فتحة همزة الله نقلت إلى الميم لأن تلك الهمزة همزة وصل تسقط فى الدرج وتسقط معها حركتها ولو جاز نقل حركتها لجاز إثباتها

وإثباتها غير جائز وأسكن يزيد والأعشى الميم وقطعا الألف والباقون بوصل الألف وفتح الميم والله مبتدأ لا إله إلا هو خبره وخبر لا مضمر التقدير لا اله فى الوجود إلا هو وهو فى موضع الرفع بدل من موضع لا واسمه الحى القيوم خبر مبتدأ محذوف أى هو الحى أو بدل من هو والقيوم فيعول من قام وهو القائم بالقسط والقائم على كل نفس بما كسبت نزل أى هو نزل عليك الكتاب القرآن بالحق حال أى نزله حقا ثابتا مصدقا لما بين يديه لما قبله وأنزل التوراة والانجيل هما اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وإفعيل إنما يصح بعد كونهما عربيين و إنما قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل لأن القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة من قبل من قبل القرآن هدى للناس لقوم موسى وعيسى أو لجميع الناس وأنزل الفرقان أى جنس الكتب لأن الكل يفرق بين الحق والباطل أو الزبور أو كرر ذكره القرآن بما هو نعت له تفخيما لشأنه أن الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها منتقم إن الله لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء أى فى العالم فعبر عنه بالسماء و الأرض أى هو مطلع على كفر من كفر و إيمان من آمن وهو مجازيهم عليه هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء من الصور

هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب (7)

آل عمران 6 - 7
المختلفة لا إله إلا هو العزيز فى سلطانه الحكيم فى تدبيره روى أنه لما قدم وفد بنى نجران وهم ستون راكبا أميرهم العاقب وعمدتهم السيد وأسقفهم وحبرهم أبو حارثة خاصموا فى أن عيسى إن لم يكن ولدا لله فمن أبوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألم تعلموا أن الله تعالى حى لا يموت وعيسى يموت و أن ربنا قيم على العباد يحفظهم ويرزقهم وعيسى لا

يقدر على ذلك و أنه لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء وعيسى لا يعلم إلا ما علم و أنه صور عيسى فى الرحم كيف شاء فحملته امه ووضعته وأرضعته وكان ياكل ويحدث وربنا منزه عن ذلك كله فانقطعوا فنزل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية هو الذى أنزل عليك الكتاب القرآن منه من الكتاب آيات محكمات أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه هن أم الكتاب أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها واخر وآيات آخر متشابهات مشتبهات محتملات مثال ذلك الرحمن على العرش استوى فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء ولا يجوز الأول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله ليس كمثله شيء أو المحكم ما أمر الله به فى كل كتاب انزله نحو قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه الآيات والمتشابه ما وراءه أو مالا يحتمل إلا وجها واحدا وما احتمل أوجها أو ما يعلم تأويله وما لا يعلم تأويله أو الناسخ الذى يعمل به والمنسوخ الذى لا يعمل به و إنما لم يكن كل القرآن محكما لما فى المتشابه من الابتلاء به والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما فى تقادح العلماء واتعابهم القرائح فى استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى فأما الذين فى قلوبهم زيغ ميل عن الحق وهم أهل البدع فيتبعون ما تشابه فيتعلقون بالمشابه الذى يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق منه ابتغاء الفتنة طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تأويله وطلب أن يؤولوه التأويل الذى يشتهونه وما يعلم تأويله إلا الله أى لا يهتدى أى تأويله الحق الذى يجب أن يحمل عليه إلا الله والراسخون فى العلم والذين رسخوا أى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع مستأنف عند الجمهور والوقف عندهم على قوله إلا الله وفسروا المتشابه بما استأثر الله بعلمه وهو مبتدأ عندهم والخبر يقولون آمنا به وهو ثناء منه

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب (8) ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد (9) إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار (10) كدأب آل فرعون والذين من

قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب (11)

آل عمران 7 - 11
تعالى عليهم بالإيمان على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف وفائدة إنزال المتشابه الإيمان به واعتقاد حقية ما أراد الله به ومعرفة قصور إفهام البشر عن الوقوف على مالم يجعل لهم إليه سبيلا ويعضده قراءة أبي ويقول الراسخون وعبد الله أن تأويله إلا عند الله ومنهم من لا يقف عليه ويقول بأن الراسخين فى العلم يعلمون المتشابه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به أى بالمتشابه أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند ربنا من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه وما يذكر وما يتعظ وأصله يتذكر إلا أولوا الألباب أصحاب العقول وهو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل وقيل يقولون حال من الراسخين ربنا لا تزغ قلوبنا لا تملها عن الحق بخلق الميل فى القلوب بعد إذ هديتنا للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه وهب لنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت إنك أنت الوهاب كثير الهبة و الآية من مقول الراسخين ويحتمل الاستئناف أى قولوها وكذلك التى بعدها وهى ربنا إنك جامع الناس ليوم أى تجمعهم لحساب يوم ولجزاء يوم لا ريب فيه لا شك فى وقوعه إن الله لا يخلف الميعاد الموعد والمعنى أن الإلهية تنافى خلف الميعاد كقولك إن الجواد لا يخيب سائله أى لا يخلف ما وعد المسلمين والكافرين من الثواب والعقاب إن الذين كفروا برسول الله لن تغنى تنفع أو تدفع عنهم اموالهم و لا أولادهم من الله من عذابه شيئا من الأشياء وأولئك هم وقود النار حطبها كداب آل فرعون والذين من قبلهم الدأب مصدر دأب فى العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة فى تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم أو منصوب المحل بلن تغنى أى لن تغنى عنهم مثل مالم تغن عن أولئك كدأب بلا همز حيث كان أبو عمرو كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم مما فعلوا أو فعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر من حالهم ويجوز أن يكون حالا أى قد كذبوا فأخذهم الله بذنوبهم بسبب ذنوبهم يقال أخذته بكذا أى جازيته عليه

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد (12) قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار (13) زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب (14)

آل عمران 11 - 14
والله شدشد العقاب شديد عقابه فالإضافة غير محضة قل للذين كفورا هم مشكرو مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون إلى جهنم من الجهنام وهى بئر عميقة بالياء فيها حمزة وعلى وبئس المهاد المستقر جهنم قد كان لكم آية الخطاب لمشركى قريش فى فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل فى سبيل الله وهم المؤمنون وأخرى وفئة أخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلى عدد المشركين ألفين أو مثلى عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين أراهم الله إياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم ترونهم نافع أى ترون يا مشركى قريش المسلمين مثلى فئتكم الكافرة أو مثلى أنفسهم ولا يناقض هذا ما قال فى سورة الانفال ويقللكم فى اعينهم لأنهم قللوا أولا فى أعينهم حتى اجترءوا عليهم فلما اجتمعوا كثروا فى أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالتين مختلفتين ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال فيؤمئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وقفوهم أنهم مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى فى أعينهم أبلغ فى القدرة وإظهار الآية ومثليهم نصب على الحال لأنه من رؤية العين بدليل قوله رأى العين يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها والله يؤيد بنصره من يشاء كما أيد أهل بدر بتكثيرهم فى أعين العدو إن فى ذلك فى تكثير القليل لعبرة لعظة لأولى الأبصار لذوى البصائر زين للناس المزين هو الله عند الجمهور للابتلاء كقوله إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم دليلة قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان حب الشهوات الشهوة توقان النفس إلى الشئ جعل الأعيان التى ذكرها شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة أو كأنه أراد تخسيسها بتسميتها شهوات إذ الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها

شاهد على نفسه بالبهيمية من النساء و الإماء داخلة فيها والبنين جمع ابن وقد يقع فى غير هذا الموضع على الذكور والإناث وهنا أريد به الذكور فهم المشتهون فى الطباع والمعدون للدفاع والقناطير جمع قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور أو مائة ألف دينار ولقد جاء الإسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا المقنطرة المنضدة أو المدفونة من الذهب والفضة سمى ذهبا لسرعة ذهابه بالإنفاق وفضة لأنها تتفرق بالإنفاق والفض التفريق والخيل سميت به لاختيالها

قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد (15) الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار (16) الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار (17) شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم (18)

آل عمران 14 - 18
فى مشيها المسومة المعلمة من السومة وهى العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها والأنعام هى الازواج الثمانية والحرث الزرع ذلك المذكور متاع الحياة الدنيا يتمتع بها فى الدنيا والله عند حسن المآب المرجع ثم زهدهم فى الدنيا فقال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم من الذى تقدم للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستانف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم فجنات مبتدأ وللذين اتقوا خبره تجرى من تحتها الأنهار صفة لجنات ويجوز أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لأنهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله أى رضا الله والله بصير بالعباد عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذا أعد لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح أو رفع أو جر صفة للمتقين أو للعباد ربنا إننا آمنا إجابة لدعوتك فاغفر لنا ذنوبنا انجازا لوعدك وقنا عذاب النار بفضلك الصابرين على الطاعات والمصائب وهونصب على المدح والصادقين قولا باخبار الحق وفعلا باحكام العمل ونية بإمضاء العزم والقانتين الداعين أو المطيعين والمنفقين

المتصدقين والمستغفرين بالأسحار المصلين أو طالبين المغفرة وخص الأسحار لأنه وقت إجابة الدعاء و لأنه وقت الخلوة قال لقمان لابنه يا بنى لا يكن الديك اكيس منك ينادى بالأسحار و أنت نائم والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم فى كل واحدة منها وللاشعار بأن كل صفة مستقلة بالمدح شهد الله أى حكم أو قال أنه أى بأنه لا إله إلا هو والملائكة بما عاينوا من عظيم قدرته وأولوا العلم أى الأنبياء والعلماء قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من أنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة من اسم الله تعالى أو من هو و إنما جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاء زيد وعمرو راكبا لم يجز لعدم الالباس فانك لو قلت جاءنى زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكروة أو على المدح وكرر لا إله إلا هو للتأكيد العزيز الحكيم

إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب (19) فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد (20)

آل عمران 19 - 20
رفع على الاستئناف أى هو العزيز وليس بوصف لهو لأن الضمير لا يوصف يعنى أنه العزيز الذى لا يغالب الحكيم الذى لا يعدل عن الحق إن الدين عند الله الإسلام جملة مستأنفة وقرئ أن الدين على البدل من قوله أنه لا إله إلا هو أى شهد الله أن الدين عند الله الإسلام قال عليه السلام من قرأ الآية عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين ألف خلق يستغفرون له إلى يوم القيامة ومن قال بعدها وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذا الشهادة وهى لى عند الله وديعة يقول الله تعالى يوم القيامة إن لعبدى عندى عهدا و انا أحق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة وما اختلف الذين أوتوا الكتاب أى أهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله إلا من بعد ما

جاءهم العلم أنه الحق الذى لا محيد عنه بغيا بينهم أى ما كان ذلك الاختلاف إلا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستنباع كل فريق ناسا لاشبهة فى الإسلام وقيل هو اختلافهم فى نبوة محمد عليه الصلاة والسلام حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هم النصارى واختلافهم فى أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله ومن يكفر بآيات الله بحججه ودلائلة فإن الله سريع الحساب سريع المجازاة فإن حاجوك فإن جادلوك فى أن دين الله الإسلام والمراد بهم وفد بنى نجران عند الجمهور فقل أسلمت وجهى لله أى أخلصت نفسى وجملتى لله وحده لم أجعل فيها لغيره شريكا بأن أعبده وأدعو إلها معه يعنى أن دينى دين التوحيد وهو الدين القويم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وما جئت بشئ بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو اليقين الذى لا شك فيه فما معنى المحاجة ومن اتبعن عطف على التاء فى أسلمت أى أسلمت أنا و من اتبعنى وحسن للمفاصل ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه ومن اتبعنى فى الحالين سهل ويعقوب وافق أبو عمرو فى الوصل وجهى مدنى وشامى وحفص والأعشى والبرجمى وقل للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والأميين والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب ءأسلمتم بهمزتين كوفى يعنى أنه قدأتاكم من البينات ما يقتضى حصول الإسلام فهل أسلمتم أم انتم عبد على كفركم وقيل لفظه لفظ الاستفهام أم ومعناه الأمر أى أسلموا كقوله فهل أنتم منتهون أى انتهوا فإن أسلموا فقد اهتدوا فقد أصابوا الرشد حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى و إن تولوا فانما عليك البلاغ أى لم يضروك فإنك رسول منبه ما عليك إلا أن

إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم (21) أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين (22) ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون (23) ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون (24)

آل عمران 20 - 24
تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى والله بصير بالعباد فيجازيهم على اسلامهم وكفرهم إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين هم أهل الكتاب راضون بقتل آبائهم الأنبياء بغير حق حال مؤكدة لأن قتل النبى لا يكون حقا ويقتلون الذين يأمرون ويقاتلون حمزة بالقسط بالعدل من الناس أى سوى الأنبياء قال عليه السلام قتلت بنو اسرئيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة وإثنا عشر رجلا من عباد بنى إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا فى آخر النهار من ذلك اليوم فبشرهم بعذاب أليم دخلت الفاء فى خبران لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم بعذاب أليم بمعنىمن يكفر فبشرهم وهذا لأن إن لا تغير معنى الابتداء فهى للتحقيق فكأن دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت أو لعل لامتنع دخول الفاء أولئك الذين حبطت أعمالهم أى ضاعت فى الدنيا والآخرة فلهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب فى الاخرة وما لهم من ناصرين جمع لوقف رءوس الآى وإلا فالواحد النكرة فى النفى يعم ألم تر إلى الذين أوتو نصيبا من الكتاب يريد أحبار اليهود و أنهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن للتبعيض أو للبيان يدعون حال من الذين إلى كتاب الله أى التوراة أو القرآن ليحكم بينهم جعل حاكما حيث كان سببا للحكم أو ليحكم النبى روى أنه عليه السلام دخل مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أى دين أنت قال النبي عليه السلام على ملة إبراهيم قالا إن إبراهيم كان يهوديا قال لهما إن بيننا وبينك التوراة فهلموا إليها فأبيا ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم أن الرجوع إلى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض دينهم ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات أى ذلك التولى والاعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم فى الخروج من النار بعد أيام قلائل وهى أربعون يوما أو سبعة أيام وذلك مبتدأ وبأنهم خبره وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون أى غرهم افتراؤهم على الله وهو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا بذنوبنا إلا مدة

فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم

لا يظلمون (25) قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير (26) تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب (27)

آل عمران 25 - 27
يسيره فكيف إذا جمعناهم ليوم فكيف يكون حالهم فى ذلك الوقت لا ريب فيه لا شك فيه ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وهم يرجع إلى كل نفس على المعنى لأنه فى معنى كل الناس لا يظلمون بزيادة فى سيئاتهم ونقصان فى حسناتهم قل اللهم الميم عوض من يا ولذا لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء فى القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته فى يا الله وبالتفخيم مالك الملك تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان أى يا مالك الملك تؤتى الملك من تشاء تعطى من تشاء النصيب الذى قسمت له من الملك وتنزع الملك ممن تشاء أى تنزعه فالملك الاول عام والملكان الآخران خاصان مضان من الكل روى أنه عليه السلام حين فتح مكة واعدأمته ملك فارس والروم فقالت اليهود والمنافقون هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وتعز من تشاء بالملك وتذل من تشاء بنزعه منه بيدك الخير أى الخير والشرفا كفتى بذكر أحد الضدين عن الآخر أو لأن الكلام وقع فى الخير الذى يسوقه إلى المؤمنين وهو الذى انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك إنك على كل شيء قدير ولا يقدر على شيء أحد غيرك إلا بإقدارك وقيل المراد بالملك ملك العافية أو ملك القناعة قال عليه السلام ملوك الجنة من امتى القانعون بالقوت يوما فيوما أو ملك قيام الليل وعن الشبلى الاستغناء بالمكون عن الكونين تعز بالمعرفة أو بالاستغناء بالمكون أو بالقناعة وتذل بأضدادها ثم ذكر قدرته بالباهرة بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت فى إخرج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل فالإيلاج ادخال الشئ فى الشئ وهو مجاز هنا أى تنقص من ساعات الليل وتزيد فى النهار وتنقص من ساعات النهار وتزيد فى الليل وتخرج

الحى من الميت الحيوان من النطفة أو الفرج من البيضة أو المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحى النطفة من الإنسان أو البيض من الدجاج أو الكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب لا يعرف الخلق عدده ومقداره و إن كان معلوما عنده ليدل على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب

لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير (28) قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير (29) يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد (30)

آل عمران 28 - 30
من يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويدلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفى بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد أطاعونى جعلتهم عليم رحمة و إن العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسبب الملوك ولكن توبوا إلى أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم الحى من الميت والميت من الحى بالتشديد حيث كان مدنى وكوفى غير أبى بكر لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو لصداقة قبل الإسلام أو غير ذلك وقد قرر ذلك فى القرآن والمحبة فى الله والبغض في الله باب عظيم فى الإيمان من دون المؤمنين يعنى أن لكم موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء أى ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله فى شيء لأن موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان إلا أن تتقوا منهم تقاة إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه أى إلا أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينذ يجوز لك إظهار الموالاة وإبطال المعاداة ويحذركم الله نفسه أى ذاته فلا تتعرضوا لسخطه

بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد و إلى الله المصير أى مصيركم إليه والعذاب معد لديه وهو وعيد آخر قل أن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضى الله يعلمه الله ولم يخف عليه وهو أبلغ وعيد ويعلم ما فى السموات وما وفى الأرض استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط أى هو الذى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيكون قادرا على عقوبتكم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يوم منصوب بتودوا الضمير فيه بينه لليوم أى يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينهما وبين ذلك اليوم وهو له أمدا بعيدا أى مسافة بعيدة أو باذكر ويقع تجد على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أى والذى عملته من سوء تودهى لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود نعم الرفع جائز إذا كان الشرط ماضيا لكن الجزم هوالكثير وعن المبرد أن الرفع شاذ وكرر قوله

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (31) قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين (32) إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين (33) ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم (34) إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم (35)

آل عمران 30 - 35
ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رءوف بالعباد ومن رأفته بهم أن حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذورا لكمال قدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ونزل حين قال اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله محبة العبد لله إيثار طاعته على غير ذلك ومحبة الله العبد أن يرضى عنه ويحمد فعله وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من

عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وقيل محبة الله معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الأنس به وقيل هى اتباع النبى عليه السلام فى أقواله وأفعاله وأحواله إلا ما خص به وقيل علامة المحبة أن يكون دائم التفكير كثير الخلوة دائم الصمت لا يبصر إذا نظر ولا يسمع إذا نودى ولا يحزن إذا أصيب ولا يفرح إذا اصاب ولا يخشى أحدا ولا يرجوه ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول قيل هى علامة المحبة فان تولوا أعرضوا عن قبول الطاعة ويحتمل أن يكون مضارعا أى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين أى لا يحبهم إن الله اصطفى اختار آدم أبا البشر ونوحا شيخ المرسلين وآل إبراهيم إسماعيل وإسحق وأولادهما وآل عمران موسى وهرون هما ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة على العالمين على عالمى زمانهم ذرية بدل من آل إبراهيم وآل عمران بعضها من بعض مبتدأ وخبره فى موضع النصب صفة لذرية يعنى أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من إسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثار وهو يتصل بيهودا بن يعقوب بن إسحق وقد دخل فى آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض فى الدين والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها إذ قالت وإذ منصوب به أو باضمار اذكر امرأة عمران هى امرأة عمران بن ماثان أم مريم جدة عيسى وهى حنة بنت فاقوذا رب إنى نذرت لك أوجبت ما فى بطنى محررا هو حال من ما وهى

فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (36) فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب (37)

آل عمران 35 - 37
بمعنى الذى أى معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لى عليه ولا أستخدمه وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم أو مخلصا للعبادة يقال طين حر أى خالص فتقبل منى مدنى و أبو عمرو والتقبل أخذ الشئ على الرضا به إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها الضمير لما فى بطنى و إنما أنث على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة قالت رب أني وضعتها أنثى انثى حال من الضمير فى وضعتها أى وضعت الحبلة أو النفس أو النسمة أنثى و إنما قالت هذا القول لأن التحرير لم يكن إلا للغلمان فاعتذرت عما نذرت وتحزنت إلى ربها ولتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله والله أعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها أى والله أعلم بالشئ الذى وضعت وماعلق به من عزائم الأمور وضعت شامى و أبو بكر بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة وعلى هذا يكون داخلا فى القول وعلى الأول يوقف عند قوله أنثى وقوله والله أعلم بما وضعت ابتداء اخبار من الله تعالى وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهتب لها واللام فيهما للعهد وإنى سميتها مريم معطوف على انى وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان و إنما ذكرت حنة تسميتها مريم لربها لأن مريم فى لغتهم العابدة فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها و أن يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان قوله وإنى مدنى أعيذها بك أجيرها وذريتها أولادها من الشيطان الرجيم الملعون فى الحديث ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها فتقبلها ربها قبل الله مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر بقبول حسن قيل القبول اسم ما يقبل به الشئ كالسعوط بما يسعط به وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم تقبل قبلها أنثى فى ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة روى أن حنة لما ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رءوس بنى إسرائيل وأحبارهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندى أختها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر على تقدير حذف المضاف

أي فتقبلها بذى قبول حسن أى بمر ذى قبول حسن وهو الاختصاص وأنبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة قال ابن عطاء ما كانت

هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء (38) فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين (39)

آل عمران 37 - 39
ثمرته مثل عيسى فذاك أحسن النبات ونباتا مصدر على خلاف الصدر أو التقدير فنبتت نباتا وكفلها قبلها أو ضمن القيام بأمرها وكفلها كوفى أى كفلها الله زكريا يعنى جعله كافلاها وضامنا لمصالحها زكريا بالقصر كوفى غير أبى بكر فكل القرآن وقرأ أبو بكر بالمد والنصب هنا غيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة ومعناه فى العبرى دائم الذكر والتسبيح كلما دخل عليها زكريا المحراب قيل بنى لها زكريا محرابا فى السمجد أى غرفة تصعد اليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لا يدخل عليها إلا هو وحده وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء قال يا مريم أنى لك هذا من أين لك هذا الرزق الذى لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهى صغيرة كما تكلم عيسى وهو فى المهد إن الله يرزق من يشاء من جملة كلام مريم أو من كلام رب العالمين بغير حساب بغير تقدير لكثرته أو تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل هنالك فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب أو فى ذلك الوقت فقد يستعار هنا وحيث وثم للزمان لما رأى حال مريم فى كرامتها على الله ومنزلتها رغب أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد أمها حنة فى الكرامة على الله و إن كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أمها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة فى غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية ولدا والذرية يقع على الواحد والجمع طيبة مباركة والتأنيث للفظ الذرية إنك سميع

الدعاء مجيبه فنادته الملائكة قيل ناداه جبريل عليه السلام و إنما قيل الملائكة لأن المعنى أتاه النداء من هذا الجنس كقولهم فلان يركب الخيل فناديه بالياء والامالة حمزة وعلى وهو قائم يصلى فى المحراب وفيه دليل على أن المرادات تطلب بالصلوات وفيها إجابة الدعوات وقضاء الحاجات وقال ابن عطاء ما فتح الله تعالى على عبد حالة سنية إلا باتباع الأوامر وإخلاص الطاعات ولزوم المحاريب إن الله بكسر الألف شامى وحمزة على إضمار القول أو لأن النداء قول الباقون بالفتح أى بأن الله يبشرك يبشرك وما بعده حمزة وعلى من بشره والتخفيف والتشديد لغتان بيحيى هو غير منصرف إن كان عجميا وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسى وعيسى و إن كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا حال منه بكلمة من الله أى مصدقا بعيسى مؤمنا به فهو أول من آمن به وسمى عيسى كلمة

قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء (40) قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار (41) وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين (42)

آل عمران 39 - 43
الله لأن تكونه بكن بلا أب أو مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسيدا هو الذى يسود قومه أى يفوقهم فى الشرف وكان يحيى فائقا على قومه لانه لم يركب شيئة قط وبالها من سيادة وقال الجنيد هو الذى جاد بالكونين عوضا عن المكون وحصورا هو الذى لا يقرب النساء مع القدرة حصرا لنفسه أى منعا لها من الشهوات ونبيا من الصالحين ناشئا من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كائنا من جملة الصالحين قال رب أنى يكون لى غلام استبعاد من حيث العادة واستعظام للقدرة لا تشكك وقد بلغنى الكبر كقولهم أدركته السن العالية أى أثر فى الكبر وأضعفنى وكان له تسعة وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتى عاقر لم تلد قال كذلك الله يفعل ما يشاء من الأفعال العجيبة قال رب اجعل لى مدنى و أبو عمرو آية علامة أعرف بها الحبل لألتقى النعمة بالشكر إذا جاءت قال آيتك ألا

تكلم الناس أى لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا إلا إشارة بيد أو رأس أو عين أو حاجب وأصله التحرك يقال ارتمز إذا تحرك واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لأنه لما أدى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمى كلاما أو هو استثناء منقطع و إنما خص تكليم الناس ليعلم أنه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذا قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والأبكار أى فى أيام عجزك عن تكليم الناس وهى من الايات الباهرة والأدلة الظاهرة و إنما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب ما كان منتزعا من السؤال والعشى من حين الزوال إلى الغروب والابكار من طلوع الفجر إلى وقت الضحى وإذا عطف على إذ قالت امرأة عمران أو التقدير واذكر إذ قالت الملائكة يا مريم روى أنهم كلموها شفاها إن الله اصطفاك اولا حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الأفعال واصطفاك آخرا على نساء العالمين بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء يا مريم اقنتى لربك أديمى الطاعة أو أطيلى قيام الصلاة واسجدى وقيل أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات

يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين (43) ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون (44) إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين (45) ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين (46) قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (47)

آل عمران 43 - 47
الصلاة ثم قيل لها واركعى مع الراكعين أى ولتكن صلاتك مع المصلين أى فى الجماعة أو وانظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى فى

عدادهم ولا تكونى فى عداد غيرهم ذلك إشارة الى ما سبق من قصة حنة وزكريا ويحيى ومريم من أنباء الغيب نوحيه إليك يعنى أن ذلك من الغيوب التى لم تعرفها إلا بالوحى وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أزلامهم وهى قداحهم التى طرحوها فى النهر مقترعين أو هى الأقلام التى كانوا يكتبون التوراة بها اختاروها للقرعة تبركا بها أيهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل مريم أو ليعلموا أو يقولون وما كنت لديهم إذ يختصمون فى شأنها تنافسا فى التكفل بها إذ قالت الملائكة أى اذكر يا مريم إن الله يبشرك بكلمة أى بعيسى منه فى موضع جر صفة لكلمة اسمه مبتدأ وذكر ضمير الكلمة لأن المسمى بها مذكر المسيح خبره والجملة في موضع جر صفة لكلمة والمسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا أينما كنت وقيل سمى مسيحا لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برأ أو لأنه كان يمسح الأرض بالسياحة لا يستوطن مكانا عيسى بدل من المسيح ابن مريم خبر مبتدأ محذوف أى هو ابن مريم ولا يجوز أن يكون صفة لعيسى لأنه اسمه عيسى فحسب وليس اسمه عيسى بن مريم و إنما قال ابن مريم اعلاما لها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه وجيها ذا جاه وقدر فى الدنيا بالنبوة والطاعة والآخرة بعلوا الدرجة والشفاعة ومن المقربين يرفعه إلى السماء وقوله وجيها حال من كلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين أى وثابتا من المقربين وكذا ويكلم الناس أى ومكلما الناس فى المهد حال من الضمير فى يكلم أى ثابتا فى المهد وهو ما يمهد للصبى من مضجعة سمى بالمصدر و كهلا عطف عليه أى ويكلم الناس طفلا وكهلا أى يكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التى يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء ومن الصالحين حال أيضا والتقدير يبشرك به موصوفا بهذه الصفات قالت ربى أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء

ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل (48) ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في

ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين (49) ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون (50) إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (51)

آل عمران 47 - 51
إذا قضى امرا فإنما يقول له كن فيكون أى إذا قدر تكون شيء كونه من غرتأخير لكنه عبر بقوله كن اخبارا عن سرعة تكون الأشياء بتكوينه ويعلمه مدنى وعاضم وموضعه حال معطوفة على وجيها الباقون بالنون على أنه كلام مبتدا الكتاب أى الكتابة وكان أحسن الناس خطا فى زمانه وقيل كتب الله والحكمة بيان الحلال والحرام أو الكتاب الخط باليد والحكمة البيان باللسان والتوراة والإنجيل ورسولا أى ونجعله رسولا أو يكون فى موضع الحال أى وجيها فى الدنيا والآخرة ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى بأنى قد جئتكم بآية من ربكم بدلالة تدل على صدقي فيما أدعيه من النبوة أنى أخلق لكم نصب بدل من أنى قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هى أنى أخلق لم أنى نافع على الاستئناف من الطين كهيئة الطير أى اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فأنفخ فيه الضمير للكاف أى فى ذلك الشئ المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور طائرا مدنى بإذن الله بأمره قيل لم يخلق شيئا غير الخفاش وأبرئ الأكمه الذى ولد أعمى والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله كرر بإذن الله دفعا لوهم من يتوهم فيه اللاهوتية روى أنه أحيا سام ابن نوح عليه السلام وهم ينظرون إليه فقالوا هذا سحر مبين فأرنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وهو قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم وما فيهما بمعنى الذى أو مصدرية إن فى ذلك أى فيما سبق لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة أى قد جئتكم بآية وجئتكم مصدقا ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم رد على قوله بآية من ربكم أي جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم وما حرم الله عليهم فى شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الإبل والسمك وكل ذى ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك وجئتكم بآية من ربكم كرر للتأكيد فاتقوا الله فى تكذيبى وخلافى واطيعون فى أمرى إن الله ربى وربكم إقرار بالعبودية ونفى للربوبية عن نفسه بخلاف ما يزعم النصارى فاعبدوه دونى هذا صراط

فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون (52) ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين (53) ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (54) إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (55) فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين (56)

آل عمران 51 - 55
مستقيم يؤدى صاحبه إلى النعيم المقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر علم ن اليهود كفرا علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس قال من أنصارى مدنى هو جمع ناصر كأصحاب أو جمع نصير كأشراف إلى الله بتعلق بمحذوف حال من الياء أو من أنصارى ذاهبا إلى الله ملتجأ إليه قال الحواريون حوارى الرجل صفوته وخاصته نحن أنصار الله اعوان دينه آمنا بالله واشهد يا عيسى بأنا مسلمون إنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيدا لإيمانهم لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم وفيه دليل على أن الإيمان والاسلام واحد ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول أى رسولك عيسى فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون لك بالوحدانية أو مع امة محمد عليه السلام لأنهم شهداء على الناس ومكروا أى كفار بنى إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر حين أرادوا قتله وصلبه ومكر الله أى جازاهم على مكرهم بأن رفع عيسى إلى السماء و ألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل ولا يجوز إضافة المكر إلى الله تعالى إلا على معنى الجزاء لأنه مذموم عند الخلق وعلى هذا الخداع والاستهزاء كذا فى شرح التأويلات والله خير الماكرين أقوى المجازين وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب إذ قال الله ظرف لمكر الله ياعيسى إنى متوفيك أى مستوفى أجلك ومعناه إنى عاصمك من أن يقتلك الكفار ومميتك حتف أمنفك لا قتلا بأيديهم ورافعك إلى إلى سمائى ومقر ملائكتى ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الأرض

من توفيت مالى على فلان إذا استوفيته أو مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن إذ الواو لا توجب الترتيب قال النيى عليه السلام ينزل عيسى خليفة على امتى يدق الصليب ويقتل الخنازير ويلبث أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى وكيف تهلك امة انا فى أولها وعيسى فى آخرها والمهدى من أهل بيتى فى وسطها أو متوفى نفسك بالنوم ورافعك و أنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ و أنت فى السماء آمن مقرب وجاعل الذين اتبعوك أى المسلمين لأنهم متبعوه فى أصل الإسلام و إن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى فوق الذين كفروا بك إلى يوم القيامة يعلمونهم بالحجة وفى أكثر الأحوال بها وبالسيف ثم إلى مرجعكم فى الآخرة فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما

وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين (57) ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم (58) إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (59) الحق من ربك فلا تكن من الممترين (60) فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (61)

آل عمران 56 - 61
الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين وتفسيرا لحكم هاتين الآيتان فيوفيهم حفص ذلك اشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهومبتدأ نتلوه عليك خبره من الآيات خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف والذكر الحكيم القرآن يعنى المحكم أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه نزل لما قال وفد بنى نجران هل رأيت ولدا بلا أب إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم أى أن شان عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم عليه السلام خلقه من تراب قدره جسدا من طين وهى جملة مفسرة لحالة شبه عيسى بآدم ولا موضع لها أى خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى مع أن الوجود من غير أب و أم أغرب وأخرق للعادة من

الوجود من غير أب فشبه الغريب بالأغراب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استعر به وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لأنه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أبوين له قالوا كان يحيى الموتى قال فحزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وحزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الأكمه والأبرص قال فجرجيس أولى لأنه طبخ واحرق ثم قام سالما ثم قال له كن أى أنشأه بشرا فيكون أى فكان وهو حكاية حال ماضية وثم لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المخبر عنه الحق من ربك خبر مبتدأ مخذوف أى هو الحق فلا تكن أيها السامع من الممترين الشاكين ويحتمل أن يكون الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ويكون من باب التهييج لزيادة الثبات لأنه عليه السلام معصوم من الامتراء فمن حاجك من النصارى فيه فى عيسى من بعد ما جاءك من العلم من البينات الموجبة للعلم وما بمعنى الذى فقل تعالوا هلموا والمراد المجئ بالعزم والرأى كما تقول تعال لنفكر فى هذه المسألة ندع ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم أى يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة ثم نبهل ثم نتباهل بأن نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته وأصل الابتهال هذا ثم يستعمل فى كل دعاء يجتهد فيه و إن لم يكن التعانا وروى أنه عليه السلام لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى ننظر فقال

إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم (62) فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين (63) قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (64)

آل عمران 61 - 64
العاقب وكان ذا رأيهم والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أ محمدا نبى مرسل وما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لنهلكن فإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا

للحسين آخذا بيدالحسن وفاطمة تمشى خلقه وعلى خلفها وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكو ولا يبقى عل وجه الأرض نصرانى فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك فصالحهم النبى على ألف حلة كل سنة فقال عليه السلام والذى نفسى بيده أن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولولا عنوا لمسخوا قردة وخنازير و إنما ضم الأبناء والنساء و إن كانت المباهلة مختصة وبمن يكاذبه لأن ذلك آكدا فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وافلاذ كبده لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته إن تمت المباهلة وخص الأبناء والنساء لأنهم اعز الأهل وألصقهم بالقلوب وقدمهم فى الذكر على الأنفس لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم لأنه لم يرو أحد من موافق أو مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك فنجعل لعنت الله على الكاذبين منا ومنكم فى شأن عيسى ونبتهل ونجعل معطوفان على ندع إن هذا الذى قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق هو فصل بين اسم إن وخبرها أو مبتدا والقصص الحق خبره والجملة خبر إن وجاز دخول اللام على الفصل لأنه إذا جاز دخولها على الخبر كان دخول على الفصل اجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ منه واصلها أن تدخل على المبتدا ومن فى وما من إله إلا الله بمنزلة البناء على الفتح لا إله إلا الله فى إفادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم و إن الله لهو العزيز فى الانتقام الحكيم فى تدبير الأحكام فإن تولوا أعرضوا ولم يقبلوا فإن الله عليم بالمفسدين وعيدلهم بالعذاب المذكور فى قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قل يا أهل الكتاب هم أهل الكتابين أو وفد نجران أو يهود المدينة تعالوا إلى كلمة سواء أى مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل وتفسير الكلمة قوله ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله يعنى تعالوا إليها حتى لا تقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع أحبارنا فيما أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع الله وعن عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول

يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون (65) ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون (66) ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين (67) إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين (68) ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون (69)

آل عمران 64 - 69
الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فإن تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون أى لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب فى جدال أو صراع اعتراف بأنى انا الغالب وسلم إلى الغلبة يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما انزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل وبين ابراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة أفلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء هاللتنبيه وأنتم مبتدأوهؤلاء خبره حاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعنى أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والإنجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له فى كتابيكم من دين إبراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته ها أنتم بالمد وغير الهمز حيث كان مدنى و أبو عمرو والله يعلم علم ما تحاججتم فيه وأنتم لا تعلمون وأنتم جاهلون به ثم أعلمهم بأنه برئ من دينهم فقال ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كأنه أراد بالمشركين اليهود والنصارى لا شراكهم به عزيرا والمسيح أو ما كان من المشركين كما لم يكن منهم إن اولى الناس بإبراهيم إن اخصهم به واقربهم منه من الولى والمراد محمد عليه السلام والذين آمنوا من أمته والله ولى المؤمنين ناصرهم ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم هم اليهود دعوا

حذيفة وعمارا ومعاذا إلى اليهودية وما يضلون إلا انفسهم وما يعود وبال الاضلال إلا عليهم لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم

يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون (70) يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون (71) وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون (72) ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (73)

آل عمران 69 - 73
وما يشعرون بذلك يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بالتوراة والإنجيل وكفرهم با أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وانتم تشهدون تعترفون بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته في الكتابين أو تكفرون بآيات الله جميعا وأنتم تعلمون أنها حق يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل تخلطون الإيمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكتمون الحق نعت محمد عليه السلام وأنتم تعلمون أنه حق وقالت طائفة من أهل الكتاب فيما بينهم آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا أى القرآن وجه النهار ظرف أى اوله يعنى اظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين فى أول النهار واكفروا اخره واكفروا به آخره لعلهم يرجعون لعل المسلمين يقولون ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله ولا تؤمنوا متعلق بقوله أن يؤتى أحد مثل ما اوتيتم وما بينهما اعتراض أى ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم أرادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أونوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثبابا ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام أو يحاجوكم عند ربكم عطف على أن يؤتى والضمير فى يحاجوكم لأحد لأنه فى معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن

المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة ومعنى الاعتراض أن الهدى هدى الله من شاء هداه حتى اسلم أو ثبت على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله إلا لمن تبع دينكم أى ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لآن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ومعنى قوله أن يؤتى لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشئ آخر يعنى أن مابكم من الحسد والبغى أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلم ويدل عليه

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (74) ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (75) بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين (76) إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (77) وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (78)

آل عمران 73 - 76
قراءة ابن كثير آن بالمد والاستفهام يعنى ألأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب تحسدونهم وقوله أو يحاجوكم على هذا معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو لما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم والله واسع أى واسع الرحمة عليم بالمصلحة يختص برحمته بالنبوة أو بالإسلام من يشاء الله ذو الفضل العظيم ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده إليك هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتى أوقيه ذهبا فأداه إليه ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك هو فنحاص بن

عازوراء استودعه رجل من قريش دينار فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم والخائنون فى القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه ملازما له يؤده ولا يؤده بكسر الهاء مشبعة مكى وشامى ونافع وعلى وحفص واختلس أبو عمرو فى رواية غيرهم بسكون الهاء ذلك اشارة إلى ترك الأداء الذى دل عليه لا يؤده بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل أى تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا فى الأميين سبيل أى لا يتطرق علينا إثم وذم فى شأن الأميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار بهم لأنهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم وكانوا يقولون لم يجعل لهم فى كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم أن ذلك فى كتابهم وهم يعلمون أنهم كاذبون بلى إثبات لما نفوه من السبيل عليهم فى الأميين أى بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من أوفى بعهده واتقى جملة مستأنفة مقررة للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير فى بعهده يرجع إلى الله تعالى أى كل من أوفى بعهد الله واتقاه فإن الله يحب المتقين أى يحبهم فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع من الجزاء إلى من ويدخل في ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء قيل نزلت فى عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمى أهل الكتاب ويجوز أن يرجع الضمير إلى من أوفى أى كل من أوفى بما عاهد الله عليه واتقى الله في ترك

ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون (79)

آل عمران 77 - 79
الخيانة والغدر فإن الله يحبه ونزل فيمن حرف التوراة وبدل نعته عليه السلام من الهيود واخذ الرشوة على ذلك إن الذين يشترون

يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والإرتشاء ونحو ذلك وقوله بعهد الله يقوى رجوع الضمير فى بعهده إلى الله أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة أى لا نصيب ولا يكلمهم الله بما يسرهم ولا ينظر اليهم يوم القيامة نظر رحمة ولا يزكيهم ولا يثنى عليهم ولهم عذاب أليم مؤلم و إن منهم من أهل الكتاب لفريقا هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيى بن أخطب وغيرهم يلوون ألسنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح إلى المحرف واللى الفتل وهو الصرف والمراد تحريفهم كآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك والضمير فى لتحسبوه يرجع إلى مادل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز أن يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب أى التوراة وما هو من الكتاب وليس هو من التوراة ويقولون هو من عند الله تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون أنهم كاذبون ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغى أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله والحكم والحكمة وهى السنة أو فصل القضاء والنبوة ثم يقول عطف على يؤتيه للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته حين مات ابن عباس قال ابن الحنفية مات ربانى هذه الأمة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وقالوا

ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون (80) وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (81)

آل عمران 79 - 81
الربانى العالم العامل بما كنتم تعلمون الكتاب كوفى وشامى أى غيركم غيرهم بالتخفيف وبما كنتم تدرسون أى تقرءون والمعنى بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم كانت الربانية التى هى قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدارسة وكفى به دليلا على خيبة سعى من جهد نفسه وكد روحه فى جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل فكان كمن عرس من شجرة حسناء تؤنقه بمظهرها ولا تنفق بثمرها وقيل معنى تدرسون تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس كقراءة ابن جبير ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول ووجهه أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفى في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهيننى ولا يستخف بى وبالرفع حجازى و أبو عمروا وعلى على ابتداء الكلام والهمزة فى أيأمركم بالكفر للانكار والضمير فى لا يأمركم وأيأمركم للبشر أو لله وقوله بعد إذ أنتم مسلمون يدل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له و إذ أخذ الله ميثاق النبيين هو على ظاهره من أخد الميثاق على النبيين بذلك أو المراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف واللام فى لما آتيتكم من كتاب وحكمة لام التوطئة لأن أخذ الميثاق فى معنى الاستحلاف وفى لتؤمنن لام جواب القسم وما يجوز أن تكون متضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا و أن تكون موصولة بمعنى الذى آتيتكموه لتؤمنن به ثم جاءكم معطوف على الصلة والعائد منه إلى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به رسول مصدق لما معكم لكتاب الذى معكم لتؤمنن به بالرسول ولتنصرنه أى الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم لما آتيتكم حمزة وما بمعنى الذى أو مصدرية أى لأجل إيتائى إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجئ رسول مصدق لما معكم واللام للتعليل أى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أنى آتيتكم الحكمة و أن الرسول الذى آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف آتيناكم مدنى قال أى الله أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى أى قبلتم عهدى وسمى إصرا لأنه مما يؤصر أى يشد ويعقد

فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (82) أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون (83) قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (84)

آل عمران 81 - 84
قالوا اقررنا قال فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم من الشاهدين وأنا معكم على ذلك من إقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل قال الله للملائكة اشهدوا فن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله وأعرض عن الإيمان بالنبى الجائى فأولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفار أفغير دين الله يبغون دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث أن الانكار الذى هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل وله أسلم من فى السموات الملائكة والأرض الإنس والجن طوعا بالنظر فى الأدلة والإنصاف من نفسه وكرها بالسيف أو بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بنى اسرئيل وإدراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوابأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال أى طائعين ومكرهين و إليه ترجعون فيجازيكم على الأعمال يبغون ويرجعون بالياء فيهما حفص وبالتاء فى الثاني وفتح الجيم أبو عمرو لأن الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وبالتاء فيهما وفتح الجيم غيرهما قل آمنا بالله وما أنزل علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالإيمان فلذا وحد الضمير فى قل وجمع فى آمنا أو أمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالا من الله لقدر نبيه وعدى أنزل هنا بحرف الاستعلاء وفى البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنييم إذ الوحى ينزل من فوق وينتهى إلى الرسول فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر وقال صاحب اللباب والخطاب فى البقرة للأمة لقوله

قولوا فلم يصح إلا إلى لأن الكتب منتهية إلى الأنبياء و إلى أمتهم جميعا وهنا قال قل وهو خطاب للنبى عليه السلام دون أمته فكان اللائق به على لأن الكتب منزلة عليه لاشركة للأمة فيه وفيه نظر لقوله تعالى آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط أولاد يعقوب وكان فيهم أنبياء وما اوتى موسى وعيسى والنبيون كرر فى البقرة وما أوتى ولم يكرر هنا لتقدم ذكر الإيتاء حيث قال لما آتيتكم من ربهم من عند ربهم لا نفرق بين أحد منهم فى الإيمان كما

ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (85) كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين (86) أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (87) خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون (88) إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم (89) إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون (90) إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين (91)

آل عمران 84 - 91
فعلت اليهود والنصارى ونحن له مسلمون موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا فى عبادتنا ومن يبتغ غير الإسلام يعنى التوحيد وإسلام الوجه لله أو غير دين محمد عليه السلام دينا تمييز فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين من الذين وقعوا فى الخسران ونزل فى رهط أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم والواو فى وشهدوا أن الرسول حقا للحال وقد مضمرة أى كفروا وقد شهدوا أن الرسول أى محمد حق أو للعطف على ما فى إيمانهم من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا وجاءهم البينات أى الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات والله لا يهدى القوم الظالمين أي ما داموا مختارين الكفر أو لا يهديهم طريق الجنة إذا ماتوا كفارا أولئك مبتدأ جزاؤهم مبتدأ ثان خبره أن عليهم

لعنة الله وهما خبر أولئك أو جزاؤهم بدل الاشتمال من أولئك والملائكة والناس أجمعين خالدين حال من الهاء والميم فى عليهم فيها فى اللعنة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد وأصلحوا ما أفسدوا أو دخلوا فى الصلاح فان الله غفور لكفرهم رحيم بهم ونزل فى اليهود إن الذين كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن أو كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه فى كل وقت أو نزل فى الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفران قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون لن تقبل توبتهم أى إيمانهم عند البأس لأنهم لا يتوبون إلا عند الموت قال الله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وأولئك هم الضالون إن الذين كفروا وماتوا وهم كفارفلن يقبل من أحدهم ملء الأرض الفاء في فلن يقبل يؤذن بأن الكلام بنى

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم (92) كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين (93)

آل عمران 91 - 93
على الشرط والجزاء و أن سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وترك الفاء فيما تقدم يشعر بأن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب ذهبا تمييز ولوافتدى به أى فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا قال عليه السلام يقال للكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت مفتديا به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت أيسر من ذلك قيل الواو لتأكيد النفى أولئك لهم عذاب اليم مؤلم وما لهم من ناصرين معينين دافعين للعذاب لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر أو لن تكونوا أبرارا أو لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من أموالكم التى تحبونها وتؤثرونها وعن الحسن كل من تصدق ابتغاء وجه الله بما يحبه ولو ثمرة فهو داخل فى هذه الآية قال الواسطى الوصول البر بإنفاق

بعض المحاب و إلى الرب بالتخلى عن الكونين وقال أبو بكر الوراق لن تنالوا برى بكم إلا ببركم بإخوانكم والحاصل أنه لا وصول إلى المطلوب إلا بإخراج المحبوب وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يشترى أعدال السكر ويتصدق بها فقيل له لم لا تتصدق بثمنها قال لأن السكر احب إلى فأردت أن أنفق مما أحب وما تنفقون من شيء فإن الله به عليم أى هو عليم بكل شيء تنفقونه فيجازيكم بحسبه ومن الأولى للتبعيض لقراءة عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون والثانية للتبيين أى من أى شيء كان الانفاق طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه ولما قالت اليهود للنبى عليه السلام إنك تدعى انك على ملة إبراهيم وانت تأكل لحوم الإبل وألبانها فقال عليه السلام كان ذلك حلالا لإبراهيم فنحن نحله فقالت اليهود إنها لم تزل محرمة فى ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام نزل تكذيبا لهم كل الطعام أى المطعومات التى فيها النزاع فإن منها ما هو حرام قبل ذلك كالميتة والدم كان حلا لبنى إسرائيل أى حلالا وهو مصدر يقال حل الشئ حلا ولذا استوى فى صفته المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لاهن حل لهم إلا ما حرم إسرائيل أى يعقوب على نفسه من قبل أن تنزل التوراة وبالتخفيف مكى وبصرى وهو لحوم الابل وألبانها وكانا أحب الطعام إليه والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلا لبنى إسرائيل من قبل إنزال التوارة سوى ما حرم إسرائيل على نفسه فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الابل وألبانها لتحريم إسرائيل ذلك على نفسه قل فأتوا بالتوارة فاتلوها إن كنتم صادقين أمر بأن

فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون (94)

آل عمران 94 - 97
يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من أن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فلم يجرءوا على إخراج التوراة وبهتوا وفيه دليل بين على صدق النبي عليه السلام وعلى جواز النسخ الذى ينكرونه فمن افترى على الله الكذب بزعمه أن ذلك كان محرما فى ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام من بعد لك من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة فأولئك هم

الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون إلى البينات قل صدق الله فى إخباره أنه لم يحرم وفيه تعريض بكذبهم أى ثبت أن الله تعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون فاتبعوا ملة إبراهيم وهىملة الإسلام التى عليها محمد عليه السلام ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التى ورطتكم فى فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التى أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه حنيفا حال ن إبراهيم أى مائلا عن الأديان الباطلة وما كان من المشركين ولما قالت اليهود للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم نزل إن أول بيت وضع للناس والواضع هو الله عزوجل ومعنى وضع الله بيتا للناس أنه جعله متعبدا لهم فكأنه قال إن أول متعبد للناس الكعبة وفى الحديث أن المسجد الحرم وضع قبل بيت المقدس بأربعين سنة قيل أول من بناه إبراهيم وقيل هو أول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض وقيل هو أول بيت بناه آدم عليه السلام فى الأرض وقوله وضع للناس فى موضع جر صفة لبيت والخبر للذى ببكة أى للبيت الذى ببكة وهى علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه وقل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكة إذا زحمه لازدحام الناس فيها أو لأنها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها لم يقصدها جبار إلا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل للحجاج والمعتمرين من الثواب وتكفير السيآت وهدى للعالمين لأنه قبلتهم ومتعبدهم ومباركا وهدى حالان من الضمير فى موضع فيه آيات بينات علامات واضحات لا تلتبس على أحد مقام إبراهيم عطف بيان لقوله آيات بينات وصح بيان الجماعة بالواحد لأنه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهرور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة إبراهيم عليه السلام من تأثير قدمه فى حجر صلد أو لاشتماله على آيات لأن أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها إلى الكعبين آية و إلانة بعض الصخرة دون بعض آية وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لإبراهيم خاصة على أن ومن دخله كان آمنا عطف بيان لآيات و إن كان جملة ابتدائية أو شرطية

فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون (94) قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين (95) إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين (

96) فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين (97)

آل عمران 97
من حيث المعنى لأنه يدل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام لابراهيم وأمن داخله والاثنان فى معنى الجمع ويجوز أن يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما لدلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن داخله وكثير سواهما نحوا نمحاق الأحجار مع كثرة الرماة وامتناع الطير من العلو عليه وغير ذلك ونحوه فى طى الذكر قوله عليه السلام حبب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة فقرة عينى ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام لأنها ليست من الدنيا والثالث يطوى وكأنه عليه السلام ترك ذكر الثالث تنبيها على أنه لم يكن من شأنه أن يذكر شيئا من الدنيا فذكر شيئا هو من الدين وقيل فى سبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل أنه جاء زائرا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليه السلام أنزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقى أثر قدميه عليه وأمان من دخله بدعوة إبراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لوجنى كل جناية ثم التجأ إلى الحرم لم يطلب وعن عمر رضى الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب مامسته حتى يخرج منه ومن لزمه الفتل فى الحل بقود اوردة أو زنا فإلتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج وقيل أمنا من النار لقوله عليه السلام من مات فى أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا من النار وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعنه عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام ولله على الناس حج البيت أى استقر له عليهم فرض الحج حج البيت كوفى غير ابى بكر وهو إسم وبالفتح مصدر وقيل هما لغتان فى مصدر حج من فى موضع جر على أنه بدل البعض من الكل استطاع إليه سبيلا فسرها

النبى عليه السلام بالزاد والراحلة والضمير فى إليه للبيت أو للحج وكل مأتى إلى الشئ فهو سبيل إليه ولما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال إن الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلى إليه ولا نحجه فنزل ومن كفر أى جحد فرضية الحج وهو قول ابن عباس والحسن وعطاء ويجوز أن يكون من الكفران أى ومن لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج فإن الله غني عن العالمين مستغن عنهم وعن طاعتهم وفى هذه الآية انواع من التأكيد والتشديد منها اللام وعلى أى أنه حق واجب لله فى رقاب الناس ومنها الابدال ففيه تنبيه للمراد وتكرير له و لأن الإيضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال أيراد له فى صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تاركى الحج ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على المقت والسخط ومنها قوله عن العالمين

قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون (98) قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون (99) يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين (100) وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم (101)

آل عمران 98 - 101
و إن لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة و لأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظيم السخط الذى وقع عبارة عنه قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله الدلالة على صدق محمد عليه السلام والحال أن الله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها قل يا أهل الكتاب لم تصدون الصد المنع عن سبيل الله من آمن عن دين حق علم أنه سبيل الله التى أمر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يمنعون

من أراد الدخول فيه بجهدهم ومحل تبغونها تطلبون لها نصب على الحال عوجا اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بتغيركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك وأنتم شهداء أنها سبيل الله التى لا يصد عنها إلا ضال مضل وما الله بغافل عما تعملون من الصد عن سبيله وهو وعيد شديد ثم نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين عن سبيله بقوله يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين قيل مر شاس بن قيس اليهودى على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون فغاظه تحدثهم وتألفهم فأمر شابا من اليهود أن يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون وكان يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبى عليه السلام فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال اتدعون الجاهلية و انا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وألف بينكم فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا باكين فنزلت الآية وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجب أي من أين يتطرق إليكم الكفر وأنتم تتلى عليكم آيات الله والحال أن آيات الله وهى القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية وفيكم رسوله وبين أظهركم رسول الله عليه السلام ينبهكم ويعظكم ويزيح عنكم شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه أو بكتابه أو هو حث لهم على الالتجاء إليه فى دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدى إلى صراط مستقيم أرشد إلى الدين الحق أو ومن يجعل ربه ملجأ ومفزعا

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون 102) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون (103) ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (104)

آل عمران 102 - 104

عند الشبه يحفظه عن الشبه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى أو هو أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو بنيه أو أبيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يحزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن إلا و أنتم مسلمون ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت واعتصموا بحبل الله تمسكوا بالقرآن لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبة ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم جميعا حال من ضمير المخاطبين وقيل تمسكوا باجماع الامة دليله ولا تفرقوا أى ولا تتفرقوا يعنى ولا تفعلوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع أو ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلف اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخونا كانوا فى الجاهلية بينهم العداوة والحرب فألف بين قلوبهم بالإسلام وقذف فى قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على أن تقعوا فى نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فأنقذكم منها بالإسلام وهو رد على المعتزلة فعندهم هم الذين ينقذون أنفسهم لا الله تعالى والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا و أنث لاضافته إلى الحفرة وشفا الحفرة حرفها ولامها واو فلهذا يثنى شفوان كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته أى القرآن الذى فيه أمر ونهى ووعد ووعيد لعلكم تهتدون لتكونوا على رجاء الهداية أو لتهتدوا به إلى الصواب وما ينال به الثواب ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف بما استحسنه الشرع والعقل وينهون عن المنكر عما استقبحه الشرع والعقل أو المعروف ما وافق الكتاب والسنة والمنكر ما خالفهما أو المعروف الطاعة والمنكر المعاصى والدعاء إلى الخير عام فى التكاليف من الأفعال والتروك وما عطف

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم (105) يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم

تكفرون (106) وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون (107) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين (108) ولله ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور (109) كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون (110)

آل عمران 104 - 109
عليه خاص ومن للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفاية و لأنه لا يصلح له إلا من علم بالمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر فى إقامته فانه يبدأ بالسهل فان لم ينفع ترقى إلى الصعب قال الله تعالى فأصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا أو للتبيين أى وكونوا امة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وأولئك هم المفلحون أى هم الأخصاء بالفلاح الكامل قال عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن على رضى الله عنه أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا تكونوا كالذين تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الديانة وهم اليهود والنصارى فانهم اختلفوا وكفر بعضهم بعضا من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة الحق وأولئك لهم عذاب عظيم ونصب يوم تبيض وجوه أي وجوه المؤمنين بالظرف وهو لهم أو بعظيم أو باذكروا وتسود وجوه أى وجوه الكافرين والبياض من النور والسواد من الظلمة فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم أكفرتم فحذف الفاء والقول جميعا للعلم به والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم بعد إيمانكم يوم الميثاق فيكون المراد به جميع الكفار وهو قول ابى وهو الظاهر أو هم المرتدون أو المنافقون أى أكفرتم باطنا بعد إيمانكم ظاهرا أو أهل الكتاب وكفرهم بعد الإيمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه فذوقوا العذاب بما كنتم تكرفون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله ففى نعمته وهى الثواب المخلد ثم استأنف فقال هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك آيات الله الواردة فى الوعد والوعيد وغير ذلك نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسىء وما الله يريد ظلما للعالمين أى لا يشاء أن يظلم هو عباده فيأخذ أحدا بغير

جرم أو يزيد فى عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن ولله ما فى السموات وما فى الأرض و إلى الله ترجع الأمور فيجازى المحسن بإحسانه والمسئ بإساءته ترجع شامى وحمزة وعلى كان عبارة عن وجود الشئ فى زمان ماض على سبيل الإبهام ولا دليل فيه على عدم سابق ولا على إنقطاع

لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون (111) ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (112)

آل عمران 110 - 112
طارئ ومنه قوله كنتم خير أمة كأنه قيل وجدتم خير أمة أو كنتم فى علم الله أو فى اللوح خير امة أو كنتم فى الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به أخرجت أظهرت للناس اللام يتعلق بأخرجت تأمرون كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم بينت بالاطعام والالباس وجه الكرم فيه بالمعروف بالإيمان وطاعة الرسول وتنهون عن المنكر عن الكفر وكل محظور وتؤمنون بالله وتدومون على الإيمان به أو لأن الواو لا تقتضى الترتيب ولو آمن أهل الكتاب بمحمد عليه السلام لكان خيرا لهم لكان الإيمان خيرا لهم مما هم فيه لأنهم إنما آثروا دينهم عن دين الإسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان خيرا لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا مع الفوز بما وعدوا على الإيمان به من إيتاء الأجر مرتين منهم المؤمنون تعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم إلا أذى إلا ضررا مقتصرا على أذى بقول من طعن فى الدين أو تهديد أو نحو ذلك و إن يقاتلوكم يولوكم الأدبار منهزمين ولا يضروكم يقتل أو أسر ثم لا ينصرون ثم لا يكن لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم وهو ابتداء اخبار معطوف على جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على يولوكم إذ لو كان معطوفا عليه لقيل ثم لا ينصروا و إنما

استؤنف ليؤذن أن الله لا ينصرهم قاتلوا أو لم يقاتلوا وتقدير الكلام أخبركم أنهم أن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون وثم للتراخى فى المرتبة لأن الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتوليتهم الأدبار ضربت ألزمت عليهم الذلة أى على اليهود أينما ثقفوا وجدوا إلا بحبل من الله فى محل النصب على الحال والباء متعلق بمحذوف تقديره إلا معتصمين أو متمسكين بحبل من الله وحبل من الناس والحبل العهد والذمة والمعنى ضربت عليهم الذلة فى كل حال إلا فى حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعنى ذمة الله وذمة المسلمين أى لا عز لهم قط الاهذه الواحدة وهى التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية وباؤ بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم المسكنة الفقر عقوبة لهم على قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء أو خوف الفقر مع قيام اليسار ذلك بأنهم كانوا

ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون (113) يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين (114) وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين (115) إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (116)

آل عمران 112 - 116
إلى يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك اشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أى ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ثم قال ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون أى ذلك الكفر وذلك القتل كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليسوا سواء ليس أهل الكتاب مستوين من أهل الكتاب كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة جماعة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام أى استقام وهم الذين أسلموا منهم يتلون آيات الله القرآن آناء الليل ساعاته واحدها إنى كمعنى أو إنو كقنو أو إنى كنحى وهم يسجدون يصلون قيل يريد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها وقيل عبر عن تهجدهم بتلاوة

القرآن فى ساعات الليل مع السجود يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف بالايمان وسائر أبواب البر وينهون عن المنكر عن الكفر ومنهيات الشرع ويسارعون فى الخيرات يبادرون اليها خشية الفوت وقوله يتلون ويؤمنون فى محل الرفع صفتان لأمة أى أمة قائمة تالون مؤمنون ووصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله لأن ايمانهم به كلا ايمان لا شراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب فى الأمر سارع بالقيام به وأولئك الموصفون بما وصفوا به من الصالحين من المسلمين أو من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء فيهما كوفى غير أبى بكر و أبو عمرو مخير غيرهم بالتاء وعدى يكفروه إلى مفعولين وان كان شكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها لتضمنه معنى الحرمان كأنه قيل فلن تحرموه أى فلن تحرموا جزاءه والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب إن الذين كفروا لن تغنى

مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون (117) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون (118) ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور (119)

آل عمران 116 - 119
عنهم أموالهم ولا اولادهم من الله شيئا أى من عذاب الله وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا فى المفاخر والمكارم وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس أو ما

يتقربون به إلى الله مع كفرهم كمثل ربح كمثل مهلك ربح وهو الحرث أو مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح فيها صر برد شديد عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو مبتدأ وخبر فى موضع جر صفة لربح مثل أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم بالكفر فأهلكته عقوبة على كفرهم وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن أنفسهم يظلمون بارتكاب ما استحقوا به العقوبة أو يكون الضمير للمنفقين أى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها لاثقة للقبول ونزل نهيا للمؤمنين عن مصافاة المنافقين يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل ووليجته خصيصته وصفيه شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعارى وفى الحديث الأنصار شعار والناس دثار من دونكم من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة أى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا فى موضع النصب صفة لبطانة يعنى لا يقصرون فى فساد دينكم يقال ألا فى الأمر يألو إذا قصر فيه والخبال الفساد وانتصب خبالا على التمييز أو على حذف فى أى فى خبالكم ودوا ما عنتم أى عنتكم فما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة أى تمنوا أن يضروكم فى دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه وهو مستأنف على وجه التعليل للنهى عن اتخاذهم بطانة كقوله قد بدت البغضاء من أفواههم لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بعضهم للمسلمين وما تخفى صدورهم من البغض لكم أكبر مما بدا قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه أن كنتم تعقلون ما بين لكم هاأنتم أولاء ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره أى أنتم أولاء الخاطئون فى موالاة منافقى أهل الكتاب تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم فى موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء وأولاء موصول صلتة تحبونهم والواو فى

إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط (120) وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم (121)

آل عمران 119 - 121
وتؤمنون بالكتاب كله للحال وانتصابها من لا يحبونكم أى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم وفيه توبيخ شديد لأنهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم وقيل الكتاب للجنس و إذا لقوكم قالوا آمنا أظهروا كلمة التوحيد و إذا خلوا فارقوكم أو خلا بعضهم ببعض عضوا عليكم الأنامل من الغيظ يوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان والابهام قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزى إن الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما فى صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم فى حال خلو بعضهم ببعض وهو داخل فى جملة المقول أى أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظا إذا خلوا وقل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا أن شيئا من أسراركم يخفى عليه أو خارج عن المقول أى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعى إياك على ما يسرون فانى أعلم بما هو اخفى من ذلك وهو ما أضمروه فى صدورهم أن تمسسكم حسنة رخاء وخصب وغنيمة ونصرة تسؤهم تحزنهم اصابتها وان تصبكم سيئة اضداد ما ذكرنا والمس مستعار من الاصابة فكان المعنى واحدا ألا ترى إلى قوله تعالى أن تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يفرحوا بها باصابتها و إن تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم أو وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله فى اجتنابكم محارمه لا يضركم كيدهم شيئا مكرهم وكنتم فى حفظ الله وهذا تعليم من الله وارشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقال الحكماء إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا فى نفسك لا يضركم مكى وبصرى ونافع من ضاره يضيره بمعنى ضره وهو واضح والمشكل قراءة غيرهم لأنه جواب الشرط وجواب الشرط مجزوم فكان ينبغى أن يكون بفتح الراء كقراءة المفصل عن عاصم إلا أن ضمة الراء لا تباع ضمة الضاد نحو مد يا هذا إن الله بما تعملون بالتاء سهل أى من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما أنتم أهله وبالياء غيره أى أنه عالم بما يعملون فى عداوتكم فمعاقبهم عليه وإذ غدوت من اهلك واذكر يا محمد إذ خرجت غدوة من أهلك بالمدينة والمراد غدوه من حجرة عائشة رضى الله عنها إلى أحد

إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون (122) ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون (123) إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين (124)

آل عمران 121 - 124
تبوئ المؤمنين تنزلهم وهو حال مقاعد للقتال مواطن ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة وللقتال يتعلق يتبوئ والله سميع عليم سميع لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبى فاستشاره فقال اقم بالمدينة فما خرجنا على عدو قط إلا أصاب منا وما دخلوا علينا إلا أصبنا منهم فقال عليه السلام إنى رأيت فى منامى بقرامذبحة حولى فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلمة فأولتها هزيمة ورأيت كأنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فلم يزل به قوم ينشطون فى الشهادة حتى لبس لامته ثم ندموا فقالوا الأمر اليك يا رسول الله 8فقال عليه السلام لا ينبغي لنبى أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة و أصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال إذ همت بدل من إذ غدوت أو عمل فيه معنى عليم
طائفتان منكم حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وكان عليه السلام خرج إلى أحد فى ألف والمشركون فى ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح أن صبروا فانخذل عبد الله بن أبى بثلث الناس وقال علام نقتل أنفسنا واولادنا فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله أن تفشلا أى بأن تفشلا أى بأن تجبنا وتضعفا والفشل الجبن والخور والله وليهما محبهما أو ناصرهما أو متولى أمر هما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه قال جابر والله ما يسرنا انا لم نهم بالذى هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسرلهم من الفتح يوم بدروهم فى حال قلة وذلة فقال ولقد نصركم الله ببدر وهو إسم ما ء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به أو ذكر

بدر ا بعد أحد للجمع بين الصبر والشكر وانتم أذلة لقلة العدد فانهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم زهاء الف مقاتل والعدد فانهم خرجوا على التواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد ومع عدوهم مائة فرس والشكة والشوكة جاء يجمع القلة وهو اذلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا فاتقوا الله فى الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما أنعم الله به عليكم من النصر إذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم على أن تقول لهم ذلك يوم بدر أى نصركم الله وقت مقالتكم هذه أو بدل ثان من إذ غدوت على أن

بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (125) وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم (126) ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين (127)

آل عمران 124 - 127
تقول لهم ذلك يوم أحد ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين منزلين شامى منزلين أبو حيوة أى للنصرة ومعنى ألن يكفيكم إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة وجئ بلن الذى هو لتأكيد النفى للاشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر بلى إيجاب لما بعد لن أى يكفيكم الامداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال إن تصبروا على القتال وتتقوا خلاف الرسول عليه السلام ويأتوكم يعنى المشركين هو من فورهم هذا من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التى لا ريث بها ولا تعريج على شيء ن صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث ومنه قول الكرخى الأمر المطلق على الفور لا على التراخي والمعنى أن يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة فى حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يعنى أن الله تعالى يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم مسومين بكسر الواو مكى وأبو عمرو وعاصم وسهل أى معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامة يعرف بها فى الحرب والسومة العلامة عن الضحاك معلمين بالصوف الابيض فى تواصى

الدواب وأذنابها غيرهم بفتح الواو أى معلمين قال الكلبى معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وكانت عمامه الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك قال قتادة نزلت ألفا فصاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف وما جعله الله الضمير يرجع إلى الامداد الذي دل عليه أن يمدكم إلا بشرى لكم أي وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبنى إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر إلا من عند الله لا من عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة والطمع فى الرحمة العزيز الذى لا يغالب فى أحكامه الحكيم الذى يعطى النصر لأوليائه ويبتليهم بجهاد أعدائه واللام فى ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش متعلقة بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر إلا من عند الله أو يمددكم ربكم أو يكبتهم أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة وحقيقة الكبت شدة وهن تقع فى القلب فيصرع فى الوجه

ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون (128) ولله ما في السماوات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم (129) يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون (130) واتقوا النار التي أعدت للكافرين (131) وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون (132) وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين (133)

آل عمران 127 - 133
لأجله فينقلبوا خائبين فيرجعو غير ظافرين بمبتغاهم ليس لك من الامر شيء اسم ليس شيء والخبر لك ومن الامر حال من شيء لانها صفة مقدمة أو يتوب عليهم عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم وليس لك من الأمر شيء اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى أن الله تعالى مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم

وعن الفراء أو بمعنى حتى وعن ابن عيسى بمعنى إلا أن كقولك لآلزمتك أو تعطينى حقى أى ليس لك من امرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتشفى منهم وقيل أراد أن يدعوا عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه أن فيهم من يؤمن فإنهم ظالمون مستحقون للتعذيب ولله ما فى السموات وما فى الأرض أى الأمر له لا لك لأن ما فى السموات وما فى الأرض ملكه يغفر لمن يشاء للمؤمنين ويعذب من يشاء الكافرين والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة مضعفة مكى وشامى هذا نهى عن الربا مع التوبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله يقول إما أن تقضى حقى أو تربى وتزيد فى الأجل واتقوا الله فى أكله لعلكم تفلحون واتقوا النار التى أعدت للكافرين كان أبو حنيفة رضى الله عنه يقول هى أخوف آية فى القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه فى اجتناب محارمه وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وفيه رد على المرجئة فى قولهم لا يضر مع الإيمان ذنب ولا يعذب بالنار أصلا وعندنا غير الكافرين من العصاة قد يدخلها ولكن عاقبة أمره الجنة وفى ذكره تعالى لعل وعسى فى نحو هذا المواضع و إن قال أهل التفسير أن لعل وعسى من الله للتحقيق مالا يخفى على العارف من دقة مسلك التقوى وصعوبة إصابة رضا الله تعالى وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة سارعوا مدنى وشامى فمن أثبت الواو عطفها على ما قبلها ومن حذفها استأنفها ومعنى المسارعة إلى المغفرة

الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (134) والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون (135)

آل عمران 133 - 135
والجنة الاقبال على ما يوصل اليها ثم قيل هى الصلوات الخمس أو التكبيرة الاولى أو الطاعة أو الإخلاص أو التوبة أو الجمعة والجماعات

عرضها السموات و الأرض أى عرضها عرض السموات والأرض كقوله عرضها كعرض السماء و الأرض والمراد وصفها بالسعة والبسط فشبهت بأوسع ما علمه الناس خلقه وأبسطه وخص العرض لأنه فى العادة أدنى من الطول للمبالغة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض وما روى أن الجنة فى السماء السابعة أو فى السماء الرابعة فمعناه أنها فى جهتها لا أنها فيها أو فى بعضها كما يقا فى الدار بستان و إن كان يريد عليها لأن المراد أن بابه إليها أعدت فى موضع جر صفة لجنة أيضا أى جنة واسعة معدة للمتقين ودلت الآيتان على أن الجنة والنار مخلوقتان ثم المتقى من يتقى الشرك كما قال وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله أو من يتقى المعاصى فإن كان المراد الثاني فهى لهم بغير عقوبة و إن كان الأول فهى لهم أيضا فى العاقبة ويوقف عليه إن جعل الذين ينفقون فى السرا والضراء فى حال اليسر والعسر مبتدأ وعطف عليه والذين إذا فعلوا فاحشة وجعل الخبر أولئك و إن جعل وصفا للمتقين وعطف عليه والذين إذا فعلوا فاحشة وجعل الخبر أولئك و إن جعل وصفا للمتقين وعطف عليه والذين إذا فعلوا فاحشة أى أعدت للمتقين والتائبين فلا وقف فإن قلت الآية تدل على أن الجنة معدة للمتقين والتائبين دون المصرين قلت جاز أن تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرها كما يقال أعدت هذه المائدة للأمير ثم قد يأكلها أتباعه ألا ترى أنه قال واتقوا النار التى أعدت للكافرين ثم قد يدخلها غير الكافرين بالاتفاق وافتتح بذكر الانفاق لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الإخلاص ولأنه كان فى ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه فى مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين وقيل المراد الانفاق فى جميع الأحوال لانها لا تخلوا من حال مسرة ومضرة والكاظمين الغيظ والممسكين الغيظ عن الإمضاء يقال كظم القربة إذا ملأها وشدفاها ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما فى نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب وعن النبى عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على انقاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا والعافين عن الناس أى إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروى ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كان أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا وعن ابن عيبنة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه والله يحب المحسنين اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون أو للعهد فيكون إشاره إلى هؤلاء عن الثورى الإحسان أن

تحسن إلى المسئ فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة والذين إذا فعلوا فاحشة فعلة متزايدة

أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين (136) قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (137) هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين (138) ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين (139)

آل عمران 135 - 139
القبح ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك و ظلموا أنفسهم قيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة أو الفاحشة الزنا وظلم النفس القبلة واللمسة ونحوهما ذكروا الله بلسانهم أو بقلوبهم ليبعثهم على التوبة فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين قيل بكى إبليس حين نزلت هذه الآية ومن يغفر الذنوب إلا الله من مبتدأ ويغفر خبره وفيه ضمير يعود إلى من و إلا الله بدل من الضمير في يغفر والتقدير ولا أحد يغفر الذنوب إلا الله وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتبوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته ن التائب وإشعار بأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على قبيح فعلهم والاصرار الإقامة قال عليه السلام ما أصر من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغير مع الاصرار وهم يعلمون حال من الضمير فى ولم يصروا أى وهم يعلمون أنهم أساءوا أو وهم يعلمون أنه لا يغفر ذنوبهم إلا الله أولئك الموصوفون جزاؤهم مغفرة من ربهم بتوبته وجنات برحمته تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف أى ونعم أجر العاملين وذلك يعنى المغفرة والجنات نزلت فى ثمار قال لامرأة تريد التمر فى بيتى تمر أجود فأدخلها بيته وضمها إلى نفسه وقبلها فندم أو فى أنصارى استخلفه ثقفى وقد آخى بينهما النبى عليه السلام فى غيبة غزوة فأتى اهله لكفاية حاجة فرآها فقبلها فندم فساح فى الأرض صارخا فاستعتبه الله تعالى قد خلت مضت

من قبلكم سنن يريد ما سنة الله تعالى فى الأمم المكذبين من وقائعه فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فتعتبروا بها هذا أى القرآن أو ما تقدم ذكره بيان للناس وهدى أى إرشاد وموعظة ترغيب وترهيب للمتقين عن الشرك ولا تهنوا ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم من الهزيمة ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة أو على من قتل منكم أو جرح وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية لقلوبهم وأنتم الأعلون وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو أنتم الأعلون بالنصر والظفر فى العاقبة

إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين (140) وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين (141) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين (142) ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون (143)

آل عمران 139 - 143
وهى بشارة لهم بالعلو والغلبة وإن جندنا لهم الغالبون أو وأنتم الأعلون شأنا لأن قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر أو لآن قتلاكم فى الجنة وقتلاهم فى النار إن كنتم مؤمنين متعلق بالنهى أى ولا تهنوا إن صح إيمانكم يعنى أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالأعلون أى إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله به ويبشركم به من الغلبة إن يمسسكم فرح بضم القاف حيث كان كوفى غير حفص وبفتح القاف غيرهم وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل بالفتح الجراحة وبالضم ألمها فقد مس القوم قدح مثله أى أن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منه يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يمنعهم عن معاودتكم إلى القتال فأنتم أولى أن لا تضعفوا وتلك مبتدا الأيام صفته والخبر نداولها نصرفها بين الناس أى نصرف ما فيها من النعم والنقم نعطى لهؤلاء تارة وطورا لهؤلاء كبيت الكتاب ... فيوما علينا ويوما لنا ... ويوما نساء ويوما نسر ...

وليعلم الله الذين آمنوا أى نداولها لضروب من التدبير وليعلم الله المؤمنين مميزين بالصبر والإيمان من غيرهم كما علمهم قبل الوجود ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد للمستشهدين يوم أحد أو ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة من قوله لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من لبس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين فى سبيله وهم المنافقون والكافرون وليمحص الله الذين آمنوا التمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعنى إن كانت الدولة على المؤمنين للتمييز والاستشهاد والتمحيض وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أى لا تحسبوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفى العلم منزلة نفى متعلقة لأنه منتف بانتفائه تقول ما علم الله فى فلان خيرا أى ما فيه خير حتى بعلمه ولما بمعنى لم إلا أن فيه ضربا من التوقع فدل على نفى الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل ويعلم الصابرين نصب باضماران والواو بمعنى الجمع نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن أو جزم للعطف على يعلم الله و إنما حركت الميم لالتقاء الساكنين واختيرت الفتحة لفتحة ما قبلها ولقد كنتم تمنون الموت

وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين (144) وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين (145)

آل عمران 143 - 146
من قبل أن تلقوه خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكان يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لينالوا كرامة الشهادة وهم الذين ألحو على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج إلى المشركين وكان رأيه فى الإقامة بالمدينة يعنى وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه و تعرفوا شدته فقد رأيتموه وأنتم

تنظرون أى رأيتموه معا بين مشاهدين له حين قتل إخوانكم بين أيديكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله ص - بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه و إنما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد إلى ما يتضمنه من علبة الكفار كمن شرب الدواء من طيبب نصرانى فان قصده حصول الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة إلى عدو الله وتنفيقا لصناعته لما رمى ابن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته أقبل يريد قتله فذب عنه عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وخرج صارخا قيل هو الشيطان ألا إن محمدا قد قتل ففشا فى الناس خبر قتله فانكفئوا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا إلى عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فولينا مدبرين فنزل وما محمد إلا رسول قد خلت مضت من قبله الرسل سيخلوكما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكنين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينهم بعد خلوه لأن المقصود من بعثه الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة التى قبلها على معنى التسبيب والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه والانقلاب على العقبين مجاز على الإرتداد أو عن الإنهزام ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وإنما ضر نفسه وسيجزى الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا وما كان وما جاز لنفس أن تموت إلى بإذن الله أى بعلمه أو بأن بأذن ملك الموت فى قبض روحه والمعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله وفيه تحريض على الجهاد وتشجيع على لقاء العدو وإعلام بأن الحذر لا ينفع وان أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خاض المهالك واقتحم المعارك كتابا مصدر مؤكد لأن المعنى

وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل

الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين (146) وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (147) فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين (148) يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين (149)

آل عمران 146 - 149
كتب الموت كتابا مؤجلا مؤقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد بقتاله ثواب الدنيا أى الغنيمة وهو تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد نؤته منها من ثوابها ومن يرد ثواب الآخرة أى إعلاء كلمة الله والدرحة فى الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين وسنجزى الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وكأين أصله أى دخل عليه كاف التشبيه وصار فى معنى كم التى للتكثير وكائن يوزن كاع حيث كان مكى من نبى قاتل قتل مكى وبصرى ونافع معه حال من الضمير فى قتل أى قتل كائنا معه ربيون كثير والربيون والربانيون وعن الحسن بضم الراء وعن البعض بفتحها فالفتح على القياس لأنه منسوب إلى الرب والضم والكسر من تغييرات النسب فما وهنوا فما فتروا عند قتل نبيهم لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا وما خضعوا لعدوهم وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن عند الارجاف بقتل رسول الله عليه السلام واستكانتهم لهم حيث أرادوا أن يعتضدوا بابن أبى فى طلب الأمان من أبى سفيان والله يحب الصابرين على جهاد الكافرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا أى وما كان قولهم إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضمالها وإسرافنا فى أمرنا تجاوزنا حد العبودية وثبت أقدامنا فى القتال وانصرنا على القوم الكافرين بالغلبة وقدم الدعاء الاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الأقدام فى مواطن الحرب والنصرة على الأعداء لأنه أقرب إلى الإجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة فآتاهم الله ثواب الدنيا أى النصرة والظفر والغنيمة وحسن ثواب الآخرة المغفرة والجنة وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه و أنه هو المعتد به عنده والله يحب المحسنين أى هم محسنون والله يحبهم يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا الذين كفورا يردوكم على أعقابكم يرجعوكم إلى الشر فتنقلبوا خاسرين قيل هو

عام فى جميع الكفار وعلى المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم فى شيء حتى لا يستجروهم إن موافقتهم وعن السدى إن تستكينوا لأبى سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم وقال على رضى الله عنه نزلت فى قول المنافقين

بل الله مولاكم وهو خير الناصرين (150) سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين (151) ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين (152)

آل عمران 150 - 152
للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا فى دينهم بل الله مولاكم ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره وهو خير الناصرين سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب الرعب شامى وعلى وهما لغتان قيل قذف الله فى قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة بما أشركوا بالله بسبب إشراكهم أى كان السبب فى القاء الله الرعب فى قلوبهم إشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة ولم يرد أن هناك حجة إلا أنها تنزل عليهم لأن الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة و إنما المراد نفى الحجة ونزولها جميعا كقوله ... ولا ترى الضب بها ... ينجحر
أى ليس بها ضب فينجحر ولم يعن أن بها ضبا ولا ينجحر وماواهم مرجعهم النار وبئس مثوى الظالمين النار فالمخصوص بالذم محذوف ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إلى المدينة فالناس من اصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزل ولقد صدقكم الله وعده أى حقق إذ تحسونهم تقتلونهم قتلا ذريعا وعن ابن عيسى حسه أبطل حسه بالقتل بإذنه بأمره وعلمه حتى إذا فشلتم جبنتم وتنازعتم فى الأمر أى اختلفتم وعصيتم أمر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم بالغنيمة من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر وقهر الكفار ومتعلق إذا محذوف تقديره حتى إذا فشلتم

منعكم نصره وجاز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم منكم من يريد الدنيا أى الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم حتى إذا فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة مع إخوانكم وقال بعضهم لا تخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة فى نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن

إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون (153) ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور (154)

آل عمران 152 - 154
جبير واقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم أى كفك معونته عنكم فغلبوكم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لأنه يجازى على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه ولقد عفا عنكم حيث ندمتم على ما فرط منكم من عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ذو فضل على المؤمنين بالعفو عنهم وقبول توبتهم أو هو متفضل عليهم فى جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل

عليهم لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة إذ تصعدون تبالغون فى الذهاب فى صعيد الأرض والاصعاد الذهاب فى صعيد الأرض أو الابعاد فيه وانتصب بصرفكم أو بقوله ليبتليكم أو باضمار اذكروا ولا تلوون على أحد ولا تلتفتون وهو عبارة عن غاية انهزامهم وخوف عدوهم والرسول يدعوكم يقول إلى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة والجملة فى موضع الحال فى أخراكم فى ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهى المتأخرة يقال جئت فى آخر الناس وأخراهم كما تقول فى أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى فاثابكم عطف على صرفكم أى فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بغم بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم امره أو غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله عليه السلام والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا على ما فاتكم لتتمرنوا على تجرع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا ما أصابكم ولا على مصيب من المضار والله خبير بما تعملون عالم بعلمكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وهذا ترغيب فى الطاعة وترهيب عن المعصية ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا ثم أنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذى كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن أبى طلحة غشينا النعاس ونحن فى مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والأمنة الأمن ونعاسا بدل من أمنة أو هو مفعول وأمنة حال منه مقدمة عليه نحو رأيت راكبا رجلا والأصل أنزل عليكم نعاسا ذا أمنة إذ النعاس ليس هو الأمن ويجوز أن يكون أمنة مفعولا له أو حالا من المخاطبين بمعنى ذوى أمنه أو على أنه جمع آمن كبار وبررة يغشى يعنى النعاس تغشى بالتاء والامالة حمزة وعلى أى الأمنة طائفة منكم هم أهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد أهمتهم أنفسهم ما يهمهم إلا هم انفسهم

إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم (155)

آل عمران 154 - 155

وخلاصها لاهم الدين ولاهم رسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين رضوان الله عليهم يظنون بالله غير الحق فى حكم المصدر أى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحب أن يظن به وهو أن لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم ظن الجاهلية بدل منه والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية أو ظن أهل الجاهلية أى لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله يقولون هل لنا من الأمر من شيء هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو قل إن الامر أى النصر والغلبة كله لله ولأوليائه المؤمنين و إن جندنا لهم الغالبون كله تأكيد للأمر ولله خبران كله بصرى وهو مبتدأ ولله خبره والجملة خبران يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك خوفا من السيف يقولون فى أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا أى لو كان الأمر كما قال محمد أن الأمر كله لله ولأوليائه و أنهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل فى هذه المعركة قد أهمتهم صفة لطائفة ويظنون خبر لطائفة أو صفة أخرى أو حال أى قد اهمتهم أنفسهم ظانين ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون أو استئناف قل لو كنتم فى بيوتكم أى ن علم الله منه أنه يقتل فى هذه المعركة وكتب ذلك فى اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم فى بيوتكم لبرز من بينكم الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم مصارعهم بأحد ليكون ما علم الله أنه يكون والمعنى أن الله كتب فى اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة فى الغلبة لهم وان دين الإسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به فى بعض الأوقات تمحيص لهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم وليمتحن ما فى صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحص ما فى قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمة وللاتبلاء والتمحيص والله عليم بذات الصدور بخفياتها إن الذين تولوا منكم انهزموا يوم التقى الجمعان جمع محمد عليه السلام

يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير (

156) ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون (157) ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون (158)

آل عمران 155 - 158
وجمع أبى سفيان للقتال بأحد إنما استزلهم الشيطان دعاهم إلى الزلة وحمهلم عليها ببعض ما كسبوا بتركهم المركز الذى امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فالإضافة إلى الشيطان لطف وتقريب والتعليل بكسبهم وعظ وتأديب وكان اصحاب محمد عليه السلام تولوا عنه يوم أحد إلا ثلاثة عشر رجلا منهم أبو بكر وعلى وطلحة وابن عوف وسعد بن أبى وقاص والباقون من الأنصار ولقد عفا الله عنهم تجاوز عنهم إن الله غفور رحيم للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا كابن أبى وأصحابه وقالوا لإخوانهم أى فى حق إخوانهم في النسب أو في النفاق إذا ضربوا فى الأرض سافروا فيها للتجارة أو غيرها أو كانوا غزا جمع غاز كعاف وعفى وأصابهم موت أو قتل لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم اللام يتعلق بلا تكونوا أى لا تكونوا كهؤلاء فى النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم أو بقالوا أى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون ذلك حسرة فى قلوبهم خصاة والحسرة الندامة على فوت المحبوب والله يحيى ويميت رد لقولهم إن القتال يقطع الآجال أى الأمر بيده قد يحيى المسافر والمقاتل ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير فيجازيكم على أعمالكم يعملون مكى وحمزة وعلى أى الذين كفروا ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم متم وبابه بالكسر نافع وكوفى غير عاصم تابعهم حفص إلا فى هذه السورة كأنه أراد الوفاق بينه وبين قتلتم غيرهم بضم الميم فى جميع القرآن فالضم من مات يموت والكسر من مات يمات كخاف يخاف فكما تقول خفت تقول مت لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون ما بمعنى الذى والعائد محذوف وبالياء حفص ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله فى هذا الموضع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شأن غنى عن البرهان لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لإلى الله تحشرون كذب الكافرين اولا فى زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان

بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن

فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين (159) إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون (160) وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (161)

آل عمران 159 - 161
الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل فى سبيل الله فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت فى سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا فإن الدنيا زاد المعاد فإذا وصل العبد إلى المراد لم يحتج إلى الزاد فيما رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسية لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم فاعف عنهم ما كان منهم يوم أحد مما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله إتماما للشفقة عليهم وشاورهم فى الأمر أى فى أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحى تطبيبا لنفوسهم وترويحا لقلوبهم ورفعا لأقدارهم أو لتقتدى بك أمتك فيها فى الحديث ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم وعن أبى هريرة رضى الله عنه ما رأيت أحدا أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى شاورت فلانا أظهرت ما عندى وما عنده من الرأى وشرت الدابة واستخرجت جريها وشرت العسل أخذته من مآخذ نوفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيان أن القياس حجة فإذا عزمت فإذا قطعت الرأى على شيء بعد الشورى فتوكل على الله فى إمضاء أمرك على الأرشد لا على المشورة إن الله يحب المتوكلين رعليه والتوكل الاعتماد على الله والتفويض فى الأمور إليه وقال ذو النون خلع الأرباب وقطع الأسباب إن ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا أحد يغلبكم وإنما يدرك نصر الله من تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته و إن يخذلكم كما

خذلكم يوم أحد فمن ذا الذى ينصركم من بعده من مبعد خذلانه وهو ترك المعونة أو هو من قولك ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه علمهم أنه لا ناصر سواه و لأن إيمانهم يقتضى ذلك وما كان لنبى أن يغل مكى و أبو عمرو وحفص وعاصم أى يخون وبضم الياء وفتح الغين غيرهم يقال غل شيئا من المغنم غلولا وأغل إغلالا إذا أخذه فى خفية ويقال أغله إذا وجده غالا والمعنى ما صح له ذلك يعنى أن النبوة تنافى الغلول وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع إلى هذا لأن معناه وما صح له أن

أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير (162) هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون (163) لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين (164) أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير (165)

آل عمران 161 - 165
يوجد غالا ولا يوجد غالا إلا إذا كان غالا روى أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر مما أصيب من المشركين فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فنزلت الآية ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة أى يأت بالشئ الذى غله بعينه حاملا له على ظهره كما جاء فى الحديث أو يأت بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاؤها وافيا ولم يقل ثم يوفى ما كسب ليتصل بقوله يغلل بل جيئ بعام ليدخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيرا أو شرا مجزى فموفى جزاءه علم أنه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون أى جزاء كل على قدر كسبه أفمن اتبع رضوان الله أى رضا الله قيل هم المهاجرون والأنصار كمن باء بسخط من الله وهم المنافقون والكفار ومأواه جهنم وبئس المصير المرجع هم درجات عند الله هم متفاوتون كما يتفاوت الدرجات أو

ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين والتفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسابها لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله عليه السلام من قومه وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون بمبعثه إذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم أو من ولد اسماعيل كما أنهم من ولده والمنة فى ذلك من حيث أنه إذا كان منهم كان اللسان واحدا فيسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه وكانوا واقفين على أحواله فى الصدق والأمانة فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه وكان لهم شرف بكونه منهم وفى قراءة رسول الله من أنفسهم أى من أشرفهم يتلوا عليهم آياته أى القرآن بعدما كانوا أهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحى ويزكيهم ويطهرهم بالإيمان من دنس الكفر والطغيان أو يأخذ منهم الزكاة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وإن كانوا من قبل من قبل بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم لفى ضلال عمى وجهالة مبين ظاهر لا شبهة فيه إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والتقدير وان الشأن والحديث كانوا من قبل فى ضلال مبين أو لما أصابتكم مصيبة يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم قد أصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين وهو فى

وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين (166) وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون (167) الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين (168)

آل عمران 165 - 168
موضع رفع صفة لمصيبة قلتم انى هذا من أين هذا قل هو من عند أنفسكم لا ختياركم الخروج من المدينة أو لترككم المركز لما نصب بقلتم وأصابتكم فى محل الجربإضافة لما إليه وتقديره أفلتم حين أصابتكم وأنى هذا نصب لأنه مقول والهمزة للتقرير والتقريع وعطفت الواو هذه الجملة على ما مضى من قصة أحد من قوله ولقد

صدقكم الله وعده أو على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا إن الله على كل شيء قدير يقدر على النصر وعلى منعه وما أصابكم ما بمعنى الذى وهو مبتدأ يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع المشركين بأحد والخبر فبإذن الله فكائن بإذن الله أى بعلمه وقضائه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر إيمان هولاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم للمنافقين وهو كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أى جاهدوا للآخرة كما تقاتل المؤمنون أو ادفعوا أى قاتلوا دفعا عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم إن لم تقاتلوا للآخرة وقيل أو ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين إن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما تروع العدو قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم أى لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا تبعناكم يعنون أن ما انتم فيه لخطأ رأيكم ليس بشئ ولا يقال لمثله قتال إنما هو إلقاء النفس فى التهلكة هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يعنى أنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان قبل ذلك وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وهم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المؤمنين بالانخذال تقوية المشركين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم أي يظهرون خلاف ما يضمرون من الإيمان وغيره والتقييد بالأفواه للتأكيد ونفى المجاز والله اعلم بما يكتمون من النفاق الذين قالوا أى ابن أبى وأصحابه وهو فى موضع رفع على هم الذين قالوا أو على الإبدال من واو يكتمون أو نصب باضمارأعنى أو على البدل من الذين نافقوا أو جر على البدل من الضمير فى أفواهم أو قلوبهم لإخوانهم لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتلوين يوم أحد وقعدوا أى قالوا وقد قعدوا عن القتال لو أطاعونا ما قتلوا لو أطاعنا إخواننا

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون (169) فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون (170) يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين (171) الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم (172)

آل عمران 168 - 172
فيما أمرناهم به من الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود ووافقوا نافيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين بأن الحذر ينفع من القدر فخذوا حذركم من الموت أو معناه قل إن كنتم صادقين فى انكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فخذوا إلى دفع الموت سبيلا وروى أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا ونزل فى قتلى أحد ولا تحسبن شامى وحمزة وعلى وعاصم وبكسرالسين غيرهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد الذين قتلوا قتلوا شامى فى سبيل الله أمواتا بل أحياء بل هم أحياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى يرزقون مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التى هم عليها من التنعم برزق الله فرحين حال من الضمير فى يرزقون بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق فى الشهادة وما ساق اليهم من الكراهة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلالهم رزق الجنة ونعيمها وقال النبى عليه السلام لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر تدور فى أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش وقيل هذا الرزق فى الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لأنه لا يبقى للتخصيص فائدة ويستبشرون بالذين ربإخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من بعدهم خلفهم قد بقوا من بعدهم وهم قد تقدموهم أو لم يلحقوا بهم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ألا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهم أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفى ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على الجد فى الجهاد والرغبة فى نيل منازل الشهداء ولا هم يحزنون
يستبشرون بنعمة من الله وفضل يسرون بما أنعم الله عليهم وما تفضل عليهم من زيادة الكرامة و أن الله عطف على النعمة والفضل و أن الله على بالكسر على الاستئناف وعلى أن الجملة اعتراض لا يضيع أجر المؤمنين بل يوفر عليهم الذين استجابوا لله والرسول مبتدأ خبره للذين أحسنوا وصفة للمؤمنين أو نصب على المدح من بعد ما أصابهم القرح الجرح روى أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا

الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (173) فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم (174) إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين (175)

آل عمران 172 - 175
من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب النبى واصحابه للخروج فى طلب أبى سفيان فخرج يوم الأحد من المدينة مع سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الأسد وهى من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت للذين أحسنوا منهم واتقوا من للتبيين ومثلها فى قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم أجر عظيم فى الآخرة الذين قال لهم الناس بدل من الذين استجابوا إن الناس قد جمعوا لكم روى أن ابا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل فقال عليه السلام إن شاء الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان فى أهل مكة فألقى الله الرعب فى قلبه فبداله أن يرجع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم انى واعدت محمدا أن نلتقى بموسم بدر وقد بدا لى أن أرجع فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم أتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لا يفلت منكم أحد فقال عليه السلام والله لأخرجن ولو لم يخرج معى أحد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثمان ليال وكانت معهم تجارة فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا إنما خرجتم لتأكلوا السوق فالناس الأول نعيم وهو جمع أريد به الواحد أو كان له اتباع يثبطون مثل تثبيطه والثانى أبو سفيان وأصحابه فاخشوهم فخافوهم

فزادهم أى المقول الذى هو أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم أو القول أو نعيم إيمانا بصيرة وإيقانا وقال حسبنا الله كافينا الله أى الذى يكفينا الله يقال أحسبه الشئ إذا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل أنك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لأن اضافته غير حقيقة لكونه فى معنى اسم الفاعل ونعم الوكيل ونعم الموكول إليه هو فانقلبوا بنعمة من الله وهى السلامة وحذر العدو منهم وفضل روهو الربح فى التجارة فأصابوا بالدرهم درهمين لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير فى انقلبوا وكذا بنعمة والتقدير فرجعوا من بدر منعمين بريئين من سوء واتبعوا رضوان الله بجزاءتهم وخروجهم إلى وجه العدو على أثر تثبيطه وهو معطوف على انقلبوا والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا إنما ذلكم الشيطان هو خبر ذلكم أى

ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم (176) إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم (177) ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين (178)

آل عمران 175 - 178
إنما ذلكم المثبط هو الشيطان وهو نعيم يخوف أولياءه أى المنافقين وهو جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطاتن صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر فلا تخافوهم أى اولياءه وخافون إن كنتم مؤمنين لأن الإيمان يقتضى أن يؤثر العبد خوف الله على خوف غيره وخافونى فى الوصل والوقف سهل ويعقوب وافقهما أبو عمرو فى الوصل ولايحزنك يحزنك فى كل القرآن نافع إلا فى سورة الأنبياء لا يحزنهم الفراغ الأكبر الذين يسارعون فى الكفر يعنى لا يحزنونك لخوف أن يضروك ألا ترى إلى قوله إنهم لن يضروا الله شيئا أى أولياء الله يعنى أنهم لا يضرون بمسارعتهم فى الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة أى نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك أبلغ ما ضر به الإنسان نفسه و الآية تدل على

إرادة الكفر ومعاصي لأن إرادته ان لا يكون لهم ثواب في الآخرة لا تكون بدون إرادة كفرهم ومعاصيهم إن الذين اشتروا الكفر بالايمان أى استبدلوه به لن يضروا الله شيئا هو نصب على المصدر أى شيئا من الضرر الآية الاولى فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام والثانية فى جميع الكفار أو على العكس ولهم عذاب أليم ولا يحسبن وثلاثة بعدها مع ضم الباء فى يحسبنهم بالياء مكى و أبو عمر وكلها بالتاء حمزة وكلها بالياء مدنى وشامى إلا فلا تحسبنهم فإنها بالتاء الباقون الأوليان بالياء والأخريان بالتاء الذين كفروا فيمن قرأ بالياء رفع أى ولا يحسبن الكافرون و إن مع اسمه وخبره فى قوله أنما نملى لهم خير لأنفسهم فى موضع المفعولين ليحسبن والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا إملاءنا خيرا لأنفسهم وما مصدرية وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة فلا يخالف وفيمن قرأ بالتاء نصب أي ولا تحسبن الكافرين وأنما نملى لهم خير لأنفسهم بدل من الكافرين أى ولا تحسبن أن ما نملى للكافرين خير لهم وان مع ما فى حيزه ينوب عن المفعولين والإملاء لهم امهالهم واطالة عمرهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ما هذه حقها أن تكتب متصلة لانها كافة دون الأولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قبل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل إنما نملى لهم ليزدادوا إثما والآية حجة لنا على المعتزلة فى مسألتى الأصلح وارادة المعاصى ولهم عذاب مهين واللام فى

ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم (179) ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السماوات والأرض والله بما تعملون خبير (180)

آل عمران 179 - 180
ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافين لتأكيد النفى حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص يميز حمزة وعلى والخطاب فى أنتم

للمصدقين من أهل الاخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميزهم منكم بالوحى إلى نبيه واخباره بأحوالكم وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان الله ليؤتى أحدا منكم علم الغيوب فلاتنوهموا عند إخبار الرسل بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما فى القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء أي ولكن الله يرسل الرسول فيوحى إليه ويخبره بان فى الغيب كذا و أن فلانا فى قلبه النفاق وفلانا فى قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لامن جهة نفسه و الآية حجة على الباطنية فإنهم يدعون ذلك لامامهم فإن لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص حيث أثبتوا علم الغيب لغير الرسول وإن اثبتوا النبوة له صاروا مخالفين لنص آخر وهو قوله وخاتم النبيين فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص و إن تؤمنوا وتتقوا النفاق فلكم أجر عظيم فى الآخرة ونزل فى ما نعى الزكاة ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا أى ولا تحسبن بخل الباخلين وهو فصل و خيرا لهم مفعول ثان وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان التقدير ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم خيرا لهم وهو فصل وخيرا لهم مفعول ثان بل هو أى البخل شر لهم لأن اموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل وسيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة تفسير لقوله بل هو شر لهم أى سيجعل مالهم الذى منعوه عن الحق طوقا فى أعناقهم كما جاء فى الحديث من منع زكاة ماله يصير حية ذكرا اقرع له نابان فيطوق فى عنقه فينهشه ويدفعه إلى النار و ولله ميراث السموات والأرض وله مافيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فمالهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيل الله والأصل فى ميراث موارث فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها والله بما تعملون خبير وبالياء مكى و أبو عمرو فالتاء على طريقة الالتفات وهو

لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق (181) ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد (182) الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار

قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين (183) فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير (184)

آل عمران 181 - 184 أبلغ فى الوعيد والياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وقالوا إن إله محمد يستقرض منا فنحن إذا أغنياء وهو فقير ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه و أنه أعدله كفاء من العقاب سنكتب ما قالوا سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوا فى الصحائف أو سنحفظه إذ الكتاب من الخلق ليحفظ مافيه فسمى به مجازا وما مصدرية أو بمعنى الذى وقتلهم الأنبياء بغيرحق معطوف على ما جعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذانا بأنهما فى العظم إخوان و إن من قتل من الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء علىمثل هذا القول ونقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق أى عذاب النار كما أذقتم المسلين الغصص قال الضحاك ويقول لهم ذلك خزنة جهنم و إنما اضيف إلى الله تعالى لأنه بأمره كما فى قوله سنكتب سيكتب وقتلهم ويقول حمزة ذلك إشارة إلى ما تقدم من عقابهم بما قدمت أيديكم أى ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصى والاضافة إلى اليد لأن أكثر الأعمال يكون بالأيدى فجعل كل عمل كالواقع بالأيدى على سبيل التغلب ولانه يقال للآمر بالشئ فاعله فذكر الأيدى للتحقيق يعنى أنه فعل نفسه لا غيره بأمره وأن الله ليس بظلام للعبيد وبأن الله لا يظلم عباده فلا يعاقبهم بغير جرم الذين قالوا فى موضع جر على البدل من الذين قالوا أو نصب باضمار أعنى أو رفع باضمارهم إن الله عهد إلينا أمرنا فى التوراة وأوصانا أن لا نؤمن بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار أى يقرب قربانا فتنزل نار من السماء فتأكله فإن جئتنا به صدقناك وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لأن اكل النار القربان سبب الإيمان للرسول الآتى به لكونه معجزة فهو إذا وسائر المعجزات سواء قل قد جاكم رسل من قبلى بالبينات المعجزات سوى القربان وبالذى قلتم أى بالقربان يعنى قد جاء أسلافكم الذين انتم على ملتهم وراضون بفعلهم فلم قتلتموهم أى كان امتناعكم عن الإيمان لأجل هذا فلم لم تؤمنوا بالذين أتوا به ولم قتلتموهم إن كنتم صادقين فى قولكم إنما نؤخر الإيمان لهذا فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك

فان كذبك اليهود فلا يهولنك فقد فعلت الأمم بأنبيائها كذلك جاءوا بالبينات بالمعجزات الظاهرات والزبر الكتب جمع زبور من الزبر وهو الكتابة

كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (185) لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور (186) وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون (187)

آل عمران 184 - 187
وبالزبر شامى والكتاب جنسه المنير المضئ قيل هما واحد فى الأصل و إنما ذكرا الاختلاف الوصفين فالزبور كتاب فيه حكم زاجرة والكتاب الهادى كل نفس مبتدأ والخبر ذائقة الموت وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من العموم والمعنى لا يحزنك تكذيبهم إياك فمرجع الخلق إلى فأجازيهم على التكذيب وأجازيك على الصبر وذلك قوله و إنما توفون أجوركم يوم القيامة أى تعطون ثواب أعمالكم على الكمال يوم القيامة فإن الدنيا ليست بدار الجزاء فمن زحزح بعد و الزحزحة الابعاد عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ظفر بالخير وقيل فقد حصل له الفوز المطلق وقيل الفوز نيل المحبوب والبعد عن المكروه وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور و عن سعيد بن جبير إنما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الاخرة فإنها متاع بلاغ وعن الحسن كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل لها لتبلون والله لتبلون أى لتختبرن فى أموالكم بانفاق فى سبيل الله وبما يقع فيها ن الآفات وأنفسكم بالقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وهذه الآية دليل على أن النفس هى الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطل كما قال بعض أهل الكلام والفلاسفة كذا فى شرح التأويلات ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعنى

اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا أذى كثيرا كالطعن فى الدين وصد من أراد الإيمان وتخطئة من امن ونحو ذلك و إن تصبروا على أذاهم وتتقوا مخالفة أمر الله فان ذلك فان الصبر والتقوى من عزم الأمور من معزومات الأمور أى مما يجب العزم عليه من الامور خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى إذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه و إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه عن الناس بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن وبالياء مكى وأبو

لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم (188) ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير (189) إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب (190)

آل عمران 187 - 190
عمر وأبو بكر لأنهم غيب والضمير للكتاب أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق و تأكيده عليهم أى لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه والنبذ وراء الظهر مثل فى الطرح وترك الاعتداد وهو دليل على أنه يجب على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه و أن لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم أو لجر منفعة أو دفع أذية أو لبخل بالعلم وفى الحديث من كتم علما عن أهله ألجمه الله بلجام من نار واشتروا به ثمنا قليلا عرضا يسيرا فبئس ما يشترون والخطاب فى لا تحسبن لرسول الله واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيده تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين بما أتوا بما فعلوا وهي قراءة أبى وجاء و أنى يستعملان بمعنى فعل أنه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا وقرأ النخعى بما آتوا أى أعطوا يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب بمنجاة منه ولهم عذاب أليم مؤلم روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما فى

التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافة وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا من تدليسهم فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أى لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم ويستحمدون اليهم بالإيمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة وفيه وعيد لمن يأتى بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب أن يحمده الناس بما ليس فيه ولله ملك السموات و الأرض فهو يملك أمر هما وفيه تكذيب لمن قال إن الله فقير والله على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأدلة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر لأولى الألباب لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر فيرى أن العرض المحدث فى الجواهر يدل على حدوث الجواهر لأن جوهرا ما لا ينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم و إلا لاحتاج إلى محدث آخر إلى مالا يتناهى وحسن صنعه يدل على علمه واتقانه يدل على

الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (191) ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار (192) ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار (193)

آل عمران 191 - 193
حكمته وبقاؤه يجب على قدرته قال عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وحكى فيها أن فى بنى اسرائيل من إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتى فلم تظله فقالت له أمه لعل فرطه فرطت منك فى مدتك قال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أوتيت إلا من ذلك الذين فى موضع جر نعت لأولى أو نصب باضمار أعنى أو رفع باضمارهم

يذكرون الله يصلون قياما قائمين عند القدرة وقعودا قاعدين وعلى جنوبهم أى مضطجعين عند العجز وقياما وقعودا حالان من ضمير الفاعل فى يذكرون وعلى جنوبهم حال أيضا أو المراد الذكر على كل حال لأن الإنسان لا يخلو عن هذه الاحوال فى الحديث من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله ويتفكرون فى خلق السموات والأرض وما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام و إبداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الأفهام عن إدراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن النبى عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم و إلى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفرلى فنظر الله إليه فغفر له وقال عليه السلام لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكر ربنا ما خلقت هذا باطلا أى يقولون ذلك وهو فى محل الحال أى يتفكرون قائلين والمعنى ماخلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك وهذا إشارة إلى الخلق عى أن المراد به المخلوق أو إلى السموات و الأرض لانها فى معنى المخلوق كأنه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا سبحانك تنزيها لك عن الوصف يخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار الفاء دخلت إمنى الجزاء تقديره إذا نزهناك فقنا ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته أهنته أو أهلكته أو فضحته واحتج أهل الوعيد بالآية مع قوله يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه فى أن من يدخل النار لا يكون مؤمنا ويخلد قلنا قال جابر اخزاء المؤمن تأديبه وان فوق ذلك لخزيا وما للظالمين اللام اشارة إلى من يدخل النار والمراد الكفار من أنصار من أعوان وشفعاء يشفعون لهم كما للمؤمنين ربنا إننا سمعنا مناديا تقول سمعت رجلا يقول كذا فتوقع الفعل على الرجل ونحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع فأغناك عن ذكره ولولا الوصف لم يكن منه بد و أن يقال سمعت كلام فلان والمنادى هو الرسول عليه السلام

ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد (194) فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم

جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب (195)

آل عمران 193 - 195
أو القرآن ينادى للايمان لأجل الإيمان بالله وفيه تفخيم لشأن المنادى إذ لا منادى أعظم من مناد ينادى للايمان أن آمنوا بأن آمنوا أو أى آمنوا بربكم فآمنا قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فيه دليل بطلان الاستثناء في الإيمان ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا وكفر عنا سيآتنا صغائرنا وتوفنا مع الأبرار مخوصين بصحبتهم معدودين فى جملتهم والأبرار المتمسكون بالسنة جمع بر أو بار كرب وأرباب وصاحب وأصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أى على تصديق رسلك أو ما وعدتنا منزلا على رسلك أو على ألسنة رسلك وعلى متعلق بوعدتنا والموعود هو الثواب أو النصرة على الأعداء و إنما طلبوا انجاز ما وعد الله والله لا يخلف الميعاد لأن معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد أو المراد اجعلنا ممن لهم الوعد إذ الوعد غير مبين لمن هو أو المراد ثبتنا على ما يوصلنا إلى عدتك يؤتك يؤيده قوله ولا تحزنا يوم القيامة أو هو إظهار للخضوع والضراغة إنك لا تخلف الميعاد هو مصدر بمعنى الوعد فاستجاب لهم ربهم أى أجاب يقال استجاب له واستجابه أنى يأنى لا أضيع عمل عامل منكم منكم صفة لعامل من ذكر أو أنثى بيان لعامل بعضكم من بعض الذكر من الأنثى والأنثى من الذكر كلكم بنوا آدم لو بعضكم من بعض فى النصرة والدين وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين عن جعفر الصادق رضى الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أتجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد و قرأ الآيات فالذين هاجروا مبتدأ وهو تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له كأنه قال فالذين عملوا هذه الأعمال السنية الفائقة وهى المهاجرة عن أوطانهم فارين إلى الله بدينهم إلى حيث يأمنون عليه فالهجرة كائنة فى آخر الزمان كما كانت فى أول الإسلام وأخرجوا من ديارهم التى ولدوا فيها ونشئوا وأوذوا فى سبيلى بالشتم والضرب ونهب المال يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغروا المشركين واستشهدوا وقتلوا مكى وشامى وقتلوا وقاتلوا على التقديم والتأخير حمزة وعلى وفيه دليل على أن الواو لا توجب الترتيب والخبر لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات

تجرى من تحتها الأنهار وهو جواب قسم محذوف ثوابا فى موضع المصدر

لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد (196) متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد (197) لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار (198) وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب (199) يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون (200)

آل عمران 195 - 199
المؤكد يعنى إثابة أو تثويبا من عند الله لأن قوله لأكفرن عنهم ولأدخلنهم فى معنى لأثيبنهم والله عنده حسن الثواب أى يختص به ولا يقدر عليه غيره وروى أن طائفة من المؤمنين قالوا أن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزل لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد والخطاب لكل أحد أو للنبى عليه السلام والمراد به غيره ولان مدره القوم ومقدمهم يخاطب بشئ فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل لا يغرنكم و لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلاتكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين وهذا فى النهى نظير قوله فى الأمر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أى تقلبهم فى البلاد متاع قليل و أراد قلته فى جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو فى جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل فى نفسه لانقضائه وكل زائل قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد وساء مامهدوا لأنفسهم لكن الذين اتقوا ربهم عن الشرك لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا النزل والنزل ما يقام للنازل وهو حال من جنات لتخصصها بالصفة والعامل اللام فى لهم أو هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء من عند الله صفة له وما عند الله من الكثير الدائم خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل لكن بالتشديد يزيد وهو للاستدراك أى لابقاء لتمتعهم لكن ذلك للذين اتقوا ونزلت فى

ابن سلام وغيره من مسلمى أهل الكتاب أو فى أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم وكانوا على عيسى عليه السلام فأسلموا و إن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله دخلت لام الإبتداء على اسم إن لفصل الظرف بينهما وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن فى معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم وهو حال بعد حال أى غير مشترين أولئك لهم أجرهم عند ربهم أى ما يختص بهم الأجر وهو ماوعده

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا (1)

آل عمران 199 - 200
فى قوله أولئك يؤتون اجرهم مرتين إن الله سريع الحساب لنفوذ علمه فى كل شيء يا أيها الذين آمنوا اصبروا على الدين وتكاليفه قال الجنيد رضي الله عنه الصبر حبس النفس على المكروه بنفى الجزع وصابروا أعداء الله فى الجهاد أى غالبوهم فى الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا أقل صبرا منهم وثباتا ورابطوا وأقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو واتقوا الله لعلكم تفلحون الفلاح البقاء مع المحبوب بعد الخلاص عن المكروه ولعل لتغيب المآل لئلا يتكلوا على الآمال عن تقديم الأعمال وقيل اصبروا فى محبتى وصابروا فى نعمتى ورابطوا أنفسكم فى خدمتى لعلكم تفلحون تظفرون بقربتى قال النبى صلى الله عليه وسلم اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما والله أعلم بالصواب و إليه المرجع والمآب
سورة النساء نزلت بالمدينة آياتها مائة وست وسبعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
النساء 1
يا أيها الناس يا بنى آدم اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة

فرعكم من أصل واحد وهو نفس آدم ابيكم وخلق منها زوجها معطوف على محذوف كأنه قيل من نفس واحدة أنشأها وخلق منها زوجها والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهى أنه صفتها وهى أنه أنشأها من تراب وخلق منها زوجها حواءمن ضلع من أضلاعه وبث منهما ونشر من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء كثيرة أى وبث منهما نوعى جنس الإنس وهما الذكور والإناث فوصفها بصفة هى بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها أو على خلقكم والخطاب فى يا أيها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس آدم وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الأمم الفائتة للحصر فان قلت الذى تقتضيه جزالة النظم أن يجاء عقيب الأمر بالتقوى بما يدعوا اليها فكيف كان خلقه إياهم من نفس واحدة على التفصيل الذى ذكره داعيا اليها قلت لأن ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب الكفار والفجار فالنظر فيه يؤدى إلى أن يتقى القادر عليه ويخشى عقابه و لأن يدل

وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا (2) وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا (3)

النساء 1 - 3
على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه فى كفرانها قال عليه السلام عند نزول الآية خلقت المرأة من الرجل فهمها فى الرجل وخلق الرجل من التراب فهمه فى التراب واتقوا الله الذى تساءلون به والأصل تتساءلون فأدغمت التاء فى السين بعد إبدالها سينا لقرب التاء من السين للهمس تساءلون به بالتخفيف كوفى على حذف التاء الثانية استثقالا لاجتماع التاءين أى يسأل بعصكم بعضا بالله وبالرحم أفعل كذا على سبيل الاستعطاف والأرحام بالنصب على أنه معطوف على اسم الله تعالى أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها أو على موضع الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمر أو بالجر حمزة على عطف الظاهر على الضمير وهو ضعيف لأن الضمير المتصل كاسمه متصل

والجار والمجرور كسئ واحد فاشبه العطف على بعض الكلمة إن اله كان عليكم رقيبا حافظا او عالما وآتوا اليتامى أموالهم يعنى الذين ماتت آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الإنفراد ومنه الدرة اليتيمة وقيل اليتم فى الأناسى من قبل الآباء وفى البهائم من قبل الأمهات وحق هذا الاسم أن يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء إلا أنه قد غلب أن يسموا به قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال فإذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم زال هذا الاسم عنهم وقوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم تعليم شريعة لا لغة يعنى أنه إذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار والمعنى وآتوا اليتامى أموالهم بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم إذا بلغوا بالصغر وفيه اشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم اليهم عن حد البلوغ أن أونس منهم الرشد و أن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم أو لاتستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع عنها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز ومنه التعجل بمعنى الاستعجال ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إلى متعلقة بمحذوف وهو فى موضع الحال أى مضافة إلى أموالكم المعنى ولا تضموها إليها فى الإنفاق حتى لاتفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بمالا يحل لكم وتسوية بينه وبن الحلال إنه إن اكلها كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وإن خفتم ألا تقسطوا أى لا تعدلوا أقسط أى عدل فى اليتامى يقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة ويتيم و اما أيتام فجمع يتيم لا غير فانكحوا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لأن منهن ما حرم الله

وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا (4)

النساء 3 - 4
كاللاتى فى آية التحريم وقيل ماذهابا إلى الصفة لأن ما يجئ فى صفات من يعقل فكأنه قيل الطيبات من النساء و لأن الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم قبل كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى

فقيل إن خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات اوكانوا يتحرجون من الولاية فى اموال اليتامى ولا يتحرجون من الاستكثار من النسار مع أن الجور يقع بينهن إذا كثرن فكأنه قيل إذا تحرجتم من هذا فتحرجوا من ذلك وقيل و إن خفتم أن لا تقسطوا فى نكاح اليتامى فانكحوا من البالغات يقال طابت الثمرة أى أدركت مثنى وثلاث ورباع نكرات و إنما منعت الصرف للعدل والوصف وعليه دل كلام سيبويه ومجلهن النصب على الحال من النساء أو مما طاب تقديره فانكحوا الطيات لكم معدودات هذا العدد ثنتين وثلاثا وأربعا أربعا فإن قالت الذى إطلق للناكح فى الجمع أن يجمع بين اثنتين أو ثلاث أو اربع فما معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع قلت الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذى أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة و أربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى وجئ بالواو لتدل على تجويز الجمع بين الفرق ولو جئ بأو مكانها لذهب معنى التجويز فإن خفتم ألا تعدلوا بين هذه الأعداد فواحدة فالزموا أو فاختاروا واحدة أو ما ملكت أيمانكم سوى في اليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ذلك إشارة إلى اختيار الواحدة والتسرى ادنى ألا تعولوا أقرب من أن لا تميلوا أو لا تجوروا يقال علا الميزان عولا إذا مال وعال الحاكم فى حكمه إذا جار ويحكى عن الشافعى رحمه الله نه فسر أن لا تعولوا أن لا تكثر عيالكم واعترضوا عليه بأنه يقال أعال يعيل إذا كثر عياله وأجيب بأن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال وكلام مثله من أعلام العلم حفيق بالحمل على السداد و أن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا كأنه سلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن نحلة من نحلة كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا وانتصابها على المصدر لأن النحلة والإيتاء بمعنلا الإعطاء فكأنه قال وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أى أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس والإعطاء أو من الصدقات أى منحولة معطاة عن طيبة الأنفس وقيل نحلة من الله تعالى عطية من

ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا (5) وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا (6)

النساء 4 - 6
عنده وتفضلا منه عليهن و قيل النحلة الملة وفلان ينتحل كذا أى يدين به يعنى وآتوهن مهورهن ديانة على أنها مفعول لها والخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم فان طبن لكم للأزواج عن شيء منه أى من الصداق اذهو فى معنى الصدقات نفسا تمييز وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فإن وهبن لكم شيئا من الصدقات وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إليه الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا ولم يقل فإن وهبن لكم إعلاما بأن المراعى هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة فكلوه الهاء يعود على شيء هنيئا لا اثم فيه مريئا لا داء فيه فسرهما النبى عليه السلام أو هنيئا فى الدنيا بلا مطالبة مريئا فى العقبى لا تبعة وهما صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه وهما وصف مصدر أى أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أى كلوه وهو هنى مرئ وهذه عبارة عن المبالغة فى الإباحة وإزالة التبعة هنيا مريا بغير همز يزيد وكذا حمزة فى الوقف وهمزهما الباقون وعن على رضى الله عنه إذا اشتكى أحدكم شيئا فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها ثم ليشتر بها عسلا فليشر به بماء السماء فيجمع الله له هنيئا ومريئا وشفاء ومباركا ولا تؤتوا السفهاء المبذرين أموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ولا قدرة لهم على إصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للأولياء وأضاف إلى الأوليساء اموال السفهاء بقوله أموالكم لأنهم يلونها ويمسكونها التى جعل الله لكم قياما أى قواما لأبدائكم ومعاشا لأهلكم وأولادكم فيما بمعنى قياما نافع وشامى كما جاء عوذا بمعنى عياذا وأصل قيام قوام

فجعلت الواو ياء لانكسار ما قبلها وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن و لأن أترك ما لا يحاسبنى الله عليه خير من أن احتاج إلى الناس وعن سفيان وكان له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بى بنوا العباس وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تنجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الأرباح لامن صلب المال فيأكلها الإنفاق واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة إن صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم وكل ما سكنت إليه النفس الحسنة عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ فالابتلاء عندنا أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى

للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا (7)

النساء 6 - 7
تتبين حاله فيما يجئ منه وفيه دليل على جواز اذن الصبى العاقل فى التجارة حتى إذا بلغوا النكاح أى الحلم لأنه يصلح للنكاح عند ولطلب ما هو مقصود به وهو التولد فإن آنستم منهم تبينتم رشدا هداية فى التصرفات وصلاحا فى المعاملات فادفعوا اليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم هذا الكلام أن ما بعد حتى إلى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهى حتى التى تقع بعدها الجمل كالتى فى قوله حتى ماء دجلة أشكل والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لأن إذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الأول الذى هو إذا بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم اليهم شرط إيناس الرشد منهم وتنكير الرشد يفيد أن المراد رشد مخصوص وهو الرشد فى التصرف والتجارة أو يفيد التقليل أى طرفا من الرشد حتى لا ينتظر به تمام الرشد وهو دليل لأبى حنيفة رحمه الله فى دفع المال عند بلوغ خمس وعشرين سنة ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ولا تأكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم فاسرافا

وبدارا مصدران فى موضع الحال و أن يكبروا فى موضع المصدر منصوب الموضع ببدارا ويجوز أن يكونا مفعولا لهما أى لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون فى انفاقها وتقولون ننفق فيما نشتهي قبل أن يكبر اليتامي فينتزعوها من أيدينا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قسم الأمر بين أن يكون الوصى غنيا وبين أن يكون فقيرا فالغنى يستعفف من أكلها أى يحترز من أكل مال اليتيم واستعف أبلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا فى أكله عن إبراهيم ما سد الجوعة ووارى العورة فإذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم بأنهم تسلموها وقبضوها دفعا للتجاحد وتفاديا عن توجه اليمين عليكم عند التخاصم والتناكر وكفى بالله حسيبا محاسبا فعليكم بالتصادق وإياكم والكاذب أو هو راجع إلى قوله فليأكل بالمعروف أى ولا يسرف فإن الله يحاسبه عليه ويجازيه به وفاعل كفى لفظة الله والباء زائدة وكفى يتعدى إلى مفعولين دليله فسيكفيكهم الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون هم المتوارثون

وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا (8)

النساء 7 - 11
من ذوى القرابات دون غيرهم مما قل منه أو كثر بدل مما ترك بتكرير العامل والضمير فى منه يعود إلى ما ترك نصيبا رنصب على الاختصاص بمعنى اعنى نصيبا مفروضا مقطوعا لابد لهم من يحوزه روى أن أوس بن ثابت ترك امرأته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه ميراثه عنهن وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال ويقولون لا يرث الامن طاعن بالرماح وحاز الغنيمة فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله فنزلت الآية فبعث اليهما لا تفرقا من مال أوس شيئا فإن الله تعالى قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم و إذا حضرا القسمة أى قسمة التركة أولوا القربى ممن لا يرث واليتامى

والمساكين من الأجانب فارزقوهم فاعطوهم رمنه مما ترك الوالدان والأقربون وهو أمر ندب وهو باق لم ينسخ وقيل كان واجبا فى الابتداء ثم نسخ بآية الميراث وقولوا لهم قولا معروفا عذرا جميلا وعدة حسنة وقيل القول المعروف أن يقولوا لهم حذوا بارك الله عليكم ويستقلوا ما أعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا المراد بهم الأوصاء أمروا بأن يشخوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى فيشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا و أن يقدروا ذلك فى أنفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ولو مع ما فى حيزه صله للذين أى وليخش الذين صفتهم وحالهم أنهم لو شارفوا أن يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم الذهاب كافلهم وجواب لو خافوا والقول السديد من الأوصياء أن يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بنى ويا ولدى أن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ظالمين فهو مصدر فى موضع الحال إنما يأكلون فى بطونهم ملء بطونهم نارا أى يأكلون ما يجر إلى النار فكأنه نار روى أنه يبعث آكل مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأذنيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا وسيصلون شامى و أبو بكر أى سيدخلون سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله

وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا (8)

النساء 11
يعهد اليكم ويأمركم فى أولادكم فى شأن ميراثهم وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين أى للذكر منهم أى من أولادكم فحذف الراجع إليه لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم وبدأ يحظ الذكر و لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر أو للأنثى نصف حظ الذكر لفصله كما ضوعف حظه لذلك ولأنهم كانوا يوريون الذكر دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور أن ضوعف لهم نصيب الاناث فلايتمادى فى حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما

يدلون به والمراد حال الإجتماع إذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين و اما فى حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل عليه أنه اتبعه حكم الانفراد بقوله فإن كن نساء أى فإن كانت الأولاد نساء خلصا يعنى بناتا ليس معهن ابن فوق اثنتين خبر ثان لكان أو صفة لنساء أى نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك أى الميت لأن الآية لما كانت فى الميراث علم أن التارك هو الميت و أن كانت واحدة فلها النصف أى وان كانت المولودة منفردة واحدة مدنى على كان التامة والنصب أو فوق لقوله فإن كن نساء فإن فلت قد ذكر حكم البنتين فى حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت فى حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين فى حال الانفراد فماحكمهما قلت حكمهما مختلف فيه فابن عباس رضى الله عنهما نزلهما منزلة الواحدة لا منزلة الجماعة وغيره من الصحابة رضى الله عنهم أعطوهما حكم الجماعة بمقتضى قوله للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لأن من مات وخلف بنتا وابنا فالثلث للبنت والثلثان للابن فإذا كان الثلث لبنت واحدة كان الثلثان للبنتين و لأنه قال فى آخر السورة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك والبنتان أمس رحما بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للاختين ولم ينقصوا حظهما عن حظ من هو ابعد منهما ولأن البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كان أحرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع اخت مثلها ويكون لأختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان وفى الآية دلالة على أن المال كله للذكر إذا لم يكن معه أنثى لأنه جعل للذكر مثل حظ الانثيين وقد جعل للانثى النصف إذا كانت منفردة فعلم أن للذكر فى حال الانفراد ضعف النصف وهو الكل والضمير فى ولأبويه للميت والمراد الأب والأم إلا أنه غلب الذكر لكل واحد منهما السدس بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لو قيل ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لذهبت فائدة التأكيد وهو التفصيل بعد الاجمال والسدس مبتدأ خبر لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن

وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه

وقولوا لهم قولا معروفا (8) وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا (9) إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا (10) يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما (11)

النساء 11
السدس والربع والثمن والثلث بالتخفيف مما ترك إن كان له ولد وهو يقع على الذكر والانثى فإن لم يكن له ولد وورثه ابواه فلأمه الثلث أى مما ترك والمعنى وورثه أبواه فحسب لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما يبقى بعد إخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك لأن الأب أقوى من الأم فى الارث بدليل أن له ضعف حظها إذا خلصا فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى إلى حظ نصيبه عن نصيبها فإن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقى للاب حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا فينقلب الحكم إلى أن يكون للانثى مثل حظ الذكرين فلامه بكسر الهمزة حمزة وعلى لمجاروة كسر اللام فإن كان له أى للميت أخوة فلأمه السدس إذا كانت للميت اثنان منالاخوة والأخوات فصاعدا فلأمه السد والأخ لا يحجب والأعيان والغلات والأخياف فى حجم الام سواء من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وخدة كأنه قيل قسمة هذه الأنصباء من بعد وصية يوصى بها وما بعده بفتح الصاد مكى وشامى وحماد ويحيى وافق الأعشى فى الاولى وحفص فى الثانية لمجاورة يورث وكسر الاولى لمجاوةر يؤصيكم الله البقاون بكسر الصادين أى يوصى بها الميت أو دين والاشكال أن الدين مقدم على الوصية فى الشرع وقدمت الوصية على الدين فى التلاوة والجواب أن أو لا تدل على الترتيب ألا ترى انك إذا قلت جاءنى زيد أو عمرو كان المعنى جاءنى أحد الرجلين فكان التقدير فى قوله من بعد وصية يؤصى بها أو دين من بعد أحد هذين الشيئين الوصية أو الدين ولو قيل بهذا اللفظ لم يدر فيه الترتيب بل يجوز تقديم المؤخر وتأخير المقدم كذا

هنا و إنما قدمنا الدين على الوصية بقوله عليه السلام ألا أن الدين قبل الوصية و لانها تشبه الميراث من حيث أنها صلة بلا عوض فكان اخراجها مما يشق على الورثة وكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فقدمت على الدين ليسارعوا إلى اخراجها مع الدين آباؤكم مبتدأ وأبناؤكم عطف عليه والخبر لاتدرون وقوله أيهم مبتدأ خبره أقرب لكم والجملة فى موضع نصب بتدرون نفعا تمييز والمعنى فرض الله الفرائض على ماهو على حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فوضعتم انتم الأموال على غير حكمة والتفاوت فى السهام بتفاوت المنافع وأنتم لا تدرون تفاوتها فتولى الله ذلك فضلا منه ولم يكلها إلى اجتهادكم لعجزكم عن معرفة المقادير وهذه الجملة اعتراضية مؤكدة لا موضع لها من الاعراب فريضة نصيب نصب المصدر المؤكد أى فرض ذلك فرضا من الله إن الله كان عليما

ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم (12)

النساء 12
بالأشياء قبل خلقها حكيما فى كل مافرض وقسم من الموابيث وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم أي زوجاتكم إن لم يكن لهن ولد أى ابن أو بنت فإن كان لهن ولد منكم أو من غيركم فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم أن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين والواحد والجماعة سواء فى الربع والثمن جعل ميراث الزوج ضعف ميراث الزوجه لدلالة قوله للذكر مثل حظ الانثيين و إن كان رجل يعنى للميت وهو اسم كان يورث من ورث أى يورث منه وهو صفة لرجل كلالة خبر كان أى و إن كان رجل موروث منه كلالة أو يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير فى يورث

والكلالة تطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا و على من ليس بولد ولا والد من المخلفين وهو فى الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء أو امرأة عطف على رجل وله أخ أو أخت أى لأم فإن قلت قد تقدم ذكر الرجل والمرأة فلم أفرد الضمير وذكره قلت اما افراده فلأن أو لأحد الشيئين واما تذكيره فلأنه يرجع إلى رجل لأنه مذكره مبدوء به أو يرجع إلى أحدهما وهو مذكر فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا اكثر من ذلك من واحد فهم شركاء فى الثلث لأنهم يستحقون بقرابة الأم وهى لا ترث أكثر من الثلث ولهذا لا يغضل الذكر منهم على الأنثى من بعد وصية يوصى بها أو دين إنما كررت الوصية لاختلاف الموصين فالأول الوالدان والأولاد والثاني الزوجة والثالث الزوج والرابع الكلالة غير مضار حال أى يوصى بها وهو غير مضار لورثته وذلك بأن يوصى بزيادة على الثلث أو لوارث وصية من الله مصدر مؤكد أى يوصيكم بذلك وصية والله عليم ممن جار أو عدل فى وصيته حليم على الجائر لا يعاجله بالعقوبة وهذا وعيد فإن قلت فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها قلت يضمر يوصى فينتصب عن فاعله لأنه لما قيل يوصى بها علم أن ثم موصيا كما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح لأنه لما قيل يسبح له علم أن ثم مسبحا فاضمر يسبح واعلم أن الورثة أصناف أصحاب الفرائض وهم

تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم (13) ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين (14)

النساء 13 - 14
الذين لهم سهام مقدرة كالبنت ولها النصف وللأكثر الثلثان وبنت الابن وان سفلت وهى عند عدم الولد كالبنت ولها مع البنت الصلبية السدس وتسقط بالابن وبنتى الصلب إلا أن يكون معها أو اسفل منها غلام فيعصبها والأخوات لأب وأم وهن عند عدم الولد ولدالابن كالبنات والاخوات لأب وهن كالأخوات لأب و أم عند عدمهن وبصير الفريقان عصبة مع البنت أو بنت الابن ويسقطن بالابن وابنه و إن سفل والأب و بالجد عند أبى حنيفة رحمه الله وولد الأم فللواحد السدس وللاكثر الثلث وذكرهم كانثاهم ويسقطون بالولد وولد الابن

و إن سفل والأب والجد والأب وله السدس مع الابن أو ابن الابن و إن سفل ومع البنت أو بنت الابن و إن سفلت السدس والباقى والجد وهو أبو الأب وهو كالأب عند عدمه إلا فى رد الام إلى ثلث ما يبقى والام ولها السدس مع الولد أو ولد الابن و إن سفل أو الاثنين من الاخوة والاخوات فصاعدا من أى جهة كانا وثلث الكل عند عدمهم وثلث ما يبقى بعد فرض أحد الزوجين فى زوج وأبوين أو زوجة وأبوين والجدة ولها السدس و إن كثرت لأم كانت أو لأب والبعدى تحجب بالقربى والكل بالأم والأبويات بالأب والزوج وله الربع مع الولد أو ولد الابن و إن سفل وعند عدمه النصف والزوجة ولها الثمن مع الولد أو ولد الابن و إن سفل وعند عدمه الربع والعصبات وهم الذين يرثون ما بقى من الفرض وأولاهم إلابن ثم ابنه و إن سفل ثم الاب ثم أبوه و إن علائم الأخ لأب و أم ثم الاخ لاب ثم ابن الأخ لأب وأم ثم ابن الأخ لاب ثم الأعمام ثم أعمام الاب ثم أعمام الجد ثم المعتق ثم عصبته على الترتيب واللاتى فرضهن النصف والثلثان يصرن عصبة بأخواتهن لا غيرهن وذوو الأرحام وهم الاقارب الذين ليسوا من العصبات ولا من أصحاب الفرائض وترتيبهم كترتيب العصبات تلك اشارة إلى الأحكام التى ذكرت فى باب اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله سماها حدودا لأن الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها انتصب خالدين وخالدا على الحال وجمع مرة وأفرد أخرى نظرا إلى معنى ن ولفظها ندخله فيهما مدنى وشامى وله عذاب مهين لهوانه عند الله ولا تعلق للمعتزلة بالآية فانها فى حق الكفار إذ الكافر هو الذى تعدى الحدود كلها و أما المؤمن العاصى فهو مطيع بالإيمان غير متعد حد التوحيد ولهذا فسر الضحاك المعصية هنا بالشرك وقال الكلبى ومن يعص الله ورسوله بكفره بقسمه المواريث

واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا (15) واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما (16) إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله

عليهم وكان الله عليما حكيما (17)

النساء 15 - 17
ويتعد حدوده استحلالا ثم خاطب الحكام فقال واللاتى هى جمع التى وموضعها رفع بالإبتداء يأتين الفاحشة أى الزنا لزيادتها فى القبح على كثير من القبائح يقال أتى الفاحشة وجاءها ورهقها وغشيها بمعنى من نسائكم من للتبعيض والخبر فاستشهدوا عليهن فاطلبوا الشهادة أربعة منكم من المؤمنين فإن شهدوا بالزنا فأمسكوهن فى البيوت فاحبسوهن حتى يتوفاهن الموت أى ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة أو حتى يأخذهن الموت ويستوفى أرواحهن أو يجعل الله لهن قيل أو بمعنى إلا أن سبيلا غيرهذه عن ابن عباس رضى الله عنهما السبيل للبكر جلد مائة وتغريب عام وللثيب الرجم لقوله عليه السلام خذوا عنى خذو عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة واللذان يريد الزانى والزانية وبتشديد النون مكى يأتيانها منكم أى الفاحشة فآذوهما بالتوبيخ والتعبير وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما فإن تابا عن الفاحشة واصلحا وغيرا الحال فأعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والمذمة إن الله كان توابا رحيما يقبل توبة التائب ويرحمه قال الحسن أول ما نزل من حد الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد أو الرجم فكان ترتيب النزول على خلاف ترتيب التلاوة واحاصل إنهما إذا كانا محصنين فحدهما الرجم لا غير واذا كانا غير محصنين فحدهما الجلد لا غير و إن كان أحد هما محصنا والآخر غير محصن فعلى المحصن منهما الرجم وعلى الآخر الجلد وقال ابن بحر الآية الاولى فى السحاقات والثانية فى اللواطين والتى فى سورة النور فى الزانى والزانية وهو دليل ظاهر لابى حنيفة رحمه الله فى أنه يعزر فى اللواطة ولا يحد وقال مجاهد آية الأذى فى اللواطة إنما التوبة هى من تاب الله عليه إذا قبل توبته أى إنما قبولها على الله وليس المراد به الوجوب إذ لا يجب على الله شيء ولكنه تأكيد للوعد يعنى أنه يكون لا محالة كالواجب الذى لا يترك للذين يعملون السوء الذنب لسوء عقابه بجهالة فى موضع الحال أى يعملون السوء جاهلين سفهاء لأن ارتكاب القبيح مما يدعوا إليه السفه وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقيل جهالته اختياره اللذة الفانية على الباقية وقيل لم يجهل أنه ذنب ولكنه جهل كنه عقوبته ثم يتوبون من

قريب من زمان قريب وهو ما

وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما (18) يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (19)

النساء 17 - 19
قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله حتى أذا حضر أحدهم الموت فبين أن وقت االحتضار هو الوقت الذى لا تقبل فيه التوبة وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبل أن ينظر إلى ملك الموت وعنه صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر ومن للتبعيض أى يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا فأولئك يتوب الله عليهم عدة بانه بفى ذلك واعلام بأن الغفران كائن لا محالة وكان الله عليما بعزمهم على التوبة حكيما حكم يكون الندم توبة وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن أى ولا توبة للذين يذنبون ويسوفون توبتهم إلى أن يزول حال التكليف بحضور أسباب الموت ومعاينة ملك الموت فإن توبة هؤلاء غير مقبولة لانها حالة اضطرار لاحالة اختيار وقبول التوبة ثواب ولا وعديه إلا مختار ولا الذين يموتون فى موضع جر بالعطف على الذين يعملون السيئات أى ليست التوبة للذين يعملون السيئات ولا للذين يموتون وهم كفار قال سعيد بن جبير الآية الاولى فى المؤمنين والوسطى فى المنافقين والأخرى فى الكافرين وفى بعض المصاحف بلامين وهو مبتدأ خبره أولئك اعتدنا لهم عذابا اليما أى هيأنا من العتيد وهو الحاضر أو الأصل أعددنا فقلبت الدال تاء كان الرجل يرث امرأة مورثه بأن يلقي عليها ثوبه فيتزوجها بلا مهر فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أى أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات كرهات بالفتح من الكراهة وبالضم حمزة

وعلى من الاكراه مصدر فى موضع الحال من المفعول والتقييد بالكره لا يدل على الجواز عند عدمه لأن تخصيص الشئ بالذكر لا بدل على نفى ما عداه كما فى قوله ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدى منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن وهو منصوب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفى أى لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن أو مجزوم بالنهى على الاستئناف فيجوز الوقف حينئذ على كرها والعضل الحبس والتضييق لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من المهر واللام متعلقة بتعضلوا إلا أن

وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا (20) وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا (21)

النساء 19 - 21
بأتين بفاحشة هى النشوز وإيداء الزوج واهله بالبذاء أى إلا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم فى طلب الخلع وعن الحسن الفاحشة الزنا فإن فعلت حل لزوجها أن يسألها الخلع مبينة وبفتح الياء مكى و أبوبكر والاستثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كأنه قيل و لا تعضلوهن فى جميع الأوقات إلا وقت أن يأتين بفاحشة أو ولا تعضلوهن لعلة من العلل إلا لأن يأتين بفاحشة وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة فى المبيت والنفقة والاجمال فى القول فإن كرهتموهن لقبحهن أو سوء خلقهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه فى ذلك الشئ أو فى الكره خيرا كثيرا ثوبا جزيلا أو ولدا صالحا والمعنى فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح فى الدين وأدلى إلى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر فى أسباب الصلاح و إنما صح قوله فعسى أن تكرهوا جزاء للشرط لأن المعنى فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وكان الرجل إذا رأى امرأة فأعجبته بهت التى تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها فقيل و إن أردتم استبدال زوج مكان زوج أى تطليق

امرأة وتزوج أخرى وأتيتم إحداهن وأعطيتم إحدى الزوجات فالمراد بالزوج الجمع لأن الخطاب لجماعة الرجال فنطارا مالا عظيما كما مر فى آل عمران وقال عمر رضي الله عنه على المنبر لا تغالوا بصدقات النساء فقالت امرأة أنتبع قولك أم قول الله وآتيتم إحداهن قنطار فقال عمر كل أحد اعلم من عمر تزوجوا على ماشئتم فلا تأخذوا منه من القنطار شيئا تأخذونه بهتانا و إثما مبينا أى بينا والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به وهو برئ منه لأنه يبهت عند ذلك أى يتحير وانتصب بهتانا على الحال أى باهتين وآثمين ثم أنكر أخذ المهر بعد الافضاء فقال وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض أى خلا بلا حائل ومنه الفضاء والآية حجة لنا فى الخلوة الصحيحة أنها تؤكد المهر حيث أنكر الأخذ وعلل بذلك وأخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو قول الله تعالى فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان والله تعالى أخذ هذا الميثاق على عباده لأجلهن فهو كأخذهن أو قول النبى عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهم عوان فى أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولما نزل لا يحل لكم أن ترثوا

ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا (22) حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما (23)

النساء 22 - 23
النساء كرها قالوا تركنا هذا لاترثهن كرها ولكن نخطبهن فننكحهن برضاهن فقيل لهم ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وقيل المراد بالنكاح الوطء أى لا تطؤا ما وطئ آباؤكم وفيه تحريم وطء موطوءة الأب بنكاح أو بملك يمين أو بزنا كما هو مذهبنا وعليه كثير من المفسرين ولما قالوا كنا نفعل ذلك فكيف حال ما كان منا قال إلا ماقد سلف أى لكن ما قد سلف فانكم لا تؤاخذون به والاستثناء

منقطع عن سيبويه ثم بين صفة هذا العقد فى الحال فقال إنه كان فاحشة بالغة فى القبح ومقتا وبغضا عند الله وعند المؤمنين وناس منهم يمقتونه من ذوى مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتى وساء سبيلا وبئس الطريق طريقا ذلك ولما ذكر فى أول السورة نكاح ما طاب أى حل من النساء وذكر بعض ما حرم قبل هذا وهو نساء الآباء ذكر المحرمات الباقيات وهن سبع من النسب وسبع من السبب وبدا بالنسب فقال حرمت عليكم أمهاتكم والمراد تحريم نكاحهن عند البعض وقد ذكرنا المختار فى شرح المنار والجدة من قبل الأم أو الأب ملحقة بهن وبناتكم وبنات الابن وبنات البنت ملحقات بهن والأصل أن الجمع إذا قوبل بالجمع ينقسم الآحاد على الآحاد فتحرم على كل واحد أمه وبنته وإخوانكم لأب و أم أو لأب أو لأم وعماتكم من الأوجه الثلاثة وخالاتكم كذلك وبنات الاخ كذلك وبنات الأخت كذلك ثم شرع فى السبب فقال وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخوانكم من الرضاعة الله تعالى نزل الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة أما للرضيع والمراضعه أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته وأخواته لأبيه و أم المرضعة جدته وأختها وأخواته لأبيه وأمه ومن ولدلها من غيره فهم اخوته وأخواته لأم وأصله قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وأمهات نسائكم وهن محرمات بمجرد العقد وربائبكم سمى ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لأنه يربهما كما يرب ولده فى غالب الأمر ثم اتسع فيه فسميابذلك و إن لم يربهما اللاتى فى حجوركم قال داود إذا لم تكن فى حجره لا تحرم قلنا ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط وفائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم كانكم فى العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم من نسائكم اللاتى

والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما (24)

النساء 23 - 24
دخلتم بهن متعلق بربائبكم أى الربيبة من المرأة المدخول بها حرام على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب أى ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول وقد جعل بعض العلماء اللاى دخلتم بهن وصفا للنساء المتقدمة والمتاخرة وليس كذلك لأن الوصف الواحد لا يقع على موصوفين مختلفى العامل وهذا لأن النساء الاولى مجرورة بالإضافة والثانية بمن ولا يجوز أن تقول مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على أن تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء كذا قال الزجاج وغيره وهذا أولى مما قاله صاحب الكشاف فيه فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم فلا حرج عليكم فى أن تتزوجزا بناتهن إذا فارقتموهن أومتن وحلائل أبنائكم جمع حليلة وهى الزوجة لأن كل واحد منهما يحل للآخر أو يحل فراش الآخر من الحل أو من الحلول والذين من أصلابكم دون من تبنيتم فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب حين فارقها زيد وقال الله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج ادعيائهم وليس هذا لنفى الحرمة عن حليلة الابن من الرضاع فأن نجمعوا بين الأختين أي في النكاح وهو في موضع الرفع عطف على المحرمات أي وحرم عليكم الجمع بين الأختين إلا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله إن الله كان غفورا رحيما وعن محمد بن الحسن رحمه الله إن أهل الجاهلية كانوا يعرفون هذه المحرمات إلا نكاح امرأة الأب ونكاح الأختين فلذا قال فيهما إلا ما قد سلف والمحصنات من النساء أى ذوات الأزواج لأنهن أحصن فروجهن بالتزويج قرأ الكسائى بفتح الصاد هنا وفى سائر القرآن بكسرها وغيره بفتحها فى جميع القرآن إلا ما ملكت أيمانكم بالسى وزوجها فى دار الحرب والمعنى وحرم عليكم نكاح المنكوحات أى اللاتى لهن أزواج إلا ما ملكتموهن بسببهن وإخراجهن بدون أزواجهن لوقوع الفرقة بتباين الدارين لا بالسى فتحل الغنائم بملك اليمين بعد الاستبراء كتاب الله عليكم مصدر مؤكد أى كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فريضة وهو تحريم ما حرم وعطف وأحل لكم على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله أى كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات المذكورة وأحل كوفى غير أبى بكر عطف على حرمت أن تبتغوا مفعول له أى بين لكم ما يحل مما يحرم لأن تبتغوا أو بدل مما وراء ذلكم ومفعول

ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم (25)

النساء 24 - 25
تبتغوا مقدر وهو النساء والأجود ألا يقدر بأموالكم يعنى المهور وفيه دليل على أن النكاح لا يكون إلا بمهر و أنه يجب و إن لم يسم وان غير المال لا يصلح مهرا و أن القليل لا يصلح مهار إذ الحبة لا تعد مالا عادة محصنين في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دينكم ودنياكم ولا فساد أعظم من الجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع فى الحرام والمسافح الزانى ن السفح وهو صب المنى فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه منهن فآتوهن أجورهن مهورهن لأن المهر ثواب على البضع فما فى معنى النساء ومن للتبعيض أو للبيان ويرجع الضمير إليه على اللفظ فى به وعلى المعنى فى فآتوهن فريضة حال من الأجور أى مفروضة أو وضعت موضع ايتاء لأن الإيتاء مفروض أو مصدر مؤكد أى فرض ذلك فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر أوتهب له من كله أو يزيد لها على مقداره أو فيما تراضيا به من مقام أو فراق إن الله كان عليما بالأشياء قبل خلقها حكيما فيما فرض لهم من عقد النكاح الذى به حفظت الانساب وقيل إن قوله فما استمتعتم نزلت فى المتعة التى كانت ثلاثة أيام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت ومن لم يستطع منكم طولا فضلا يقال لفلان على طول أى فضل وزيادة وهو مفعول يستطع أن ينكح مفعول الطول فانه مصدر فيعمل عمل فعله أو بدل من طول المحصنات المؤمنات الحرائر المسلمات فممن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات أى فلينكح مملوكة من الاماء المسلمات وقوله من فتياتكم المؤمنات أي فلينكح مملوكة من الاماء المسلمات وقوله من فتياتكم أى فتيات

المسلمين والمعنى ومن لم يستطع زيادة فى المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح الأمة ونكاح أمة الكتابية يجوز عندنا والتقييد فى النص للاستحباب بدليل أن الإيمان ليس بشرط فى الحرائر اتفاقا مع التقييد به وقال ابن عباس ومما وسع الله على هذه الأمة نكاح الأمة واليهودية والنصرانية و إن كان موسرا وفيه دليل لنا فى مسألة الطول والله أعلم بإيمانكم فيه تنبيه على قبول ظاهر إيمانهن ودليل على أن الإيمان هو التصديق دون دون عمل اللسان لأن العلم بالإيمان المسموع لا يختلف بعضكم من بعض أى لا تستنكفوا من نكاح الاماء فكلكم بنو آدم وهو تحذير عن التعبير بالأنساب والتفاخر بالأحساب فانكحوهن بإذن أهلهن سادتهن وهو حجة لنا

يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم (26) والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما (27) يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا (28)

النساء 25 - 27
فى أن لهن أن يباشرن العقد بأنفسهن لأنه اعتبر إذن الموالى لاعقدهم و أنه ليس للعبد أو للامة أن يتزوج إلا بإذن المولى وآتوهن أجورهن بالمعروف وأدوا إليهن مهورهن بغير مطل واضرار وملاك مهورهن مواليهن فكان أداؤها إليهن أداء إلى الموالى لانهن وما فى أيديهن مال الموالى أو التقدير وآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف حال من المفعول فى وآتوهن غير مسافحات زوان علانية ولا متخذات أخدان زوان سرا والاخدان الاخلاء فى السر فإذا أحصن بالتزويج أحصن كوفى غير حفص فإن أتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات أى الحرائر من العذاب من الحد يعنى خمسين جلدة وقوله نصف ما على المحصنات يدل على أنه الجلد لا الرجم لأن الرجم لا يتنصف وان المحصنات هنا الحرائر اللاتى لم يزوجن ذلك أى نكاح الاماء لمن خشى العنت منكم لمن خاف الاثم الذى تؤدى إليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر أعظم من مواقعة المآثم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الزنا لأنه سبب الهلاك و أن تصبروا

فى محل الرفع على الابتداء أى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم لأن فيه ارقاق الولد ولأنها خراجة ولاجة ممتهنة مبتذلة وذلك كله نقصان يرجع إلى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وفي الحديث الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور يستر المحظور رحيم يكشف المحذور يريد الله ليبين لكم أصله يريد الله أن يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لإرادة النبيين كما زيدت فى لا أبالك لتأكيد إضافة الأب والمعنى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفى عليكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم و أن يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التى سلكوها فى دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويوفقكم للتوبة عما كنتم عليه من الخلاف والله عليم بمصالح عباده حكيم فيما شرع لهم والله يريد أن يتوب عليكم التكرار للتأكيد والتقرير والتقابل ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود لاستحلالهم الاخوات لأب وبنات الأخ وبنات الأخت فلما

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما (29) ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا (30) إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما (31)

النساء 28 - 31
حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالةوالعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخت والأخ فنزلت يقول يريدون أن تكونوا زناة مثلهم يريد الله أن يخفف عنكم باحلال نكاح الأمة وغيره من الرخص وخلق الإنسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة و الغصب والقمار وعقود الربا إلا أن تكون تجارة إلا أن تقع تجارة تجارة كوفى أي إلا أن تكون التجارة تجارة عن تراض منكم صفة لتجارة أى تجارة صادرة عن

تراض بالعقد أو بالتعاطي والاستثناء منقطع معناه ولكن أقصدوا كون تجارة عن تراض أو ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه وخص التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق اكثرها متعلق بها و الآية تدل على جواز البيع بالتعاطى وعلى جواز البيع الموقوف إذا وجدت الاجازة لوجود الرضا وعلى نفي خيار المجلس لأن فيها اباحة الأكل بالتجارة عن تراض من غير تقييد بالتفرق عن مكان العقد والتقييد به زيادة على النص ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين لأن المؤمنين كنفس واحدة أو ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة أو معنى القتل أكل الأموال بالباطل فظالم غيره كمهلك نفسه أو لا تتبعوا اهواءها فتقتلوها أو تركبوا ما يوجب القتل إن الله كان بكم رحيما ولرحمته بكم نبهكم على ما فيه صيانة أموالكم وبقاء أبدانكم وقيل معناه أنه أمر بنى إسرائيل يقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيم حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك أي القتل أي ومن يقدم على قتل الأنفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا قصاصا وهما مصدران في موضع الحال أو مفعول لهما فسوف نصليه نارا ندخله نارا مخصوصة شديد العذاب وكان ذلك أى اصلاؤه النار على الله يسيرا سهلا وهذا الوعيد فى حق المستحل للتخليد وفى حق غيره لبيان استحقاقه دخول النار مع وعد الله بمغفرته إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم عن ابن مسعود رضى الله عنهما الكبائر كل ما نهى الله عنه من أول سورة النساء إلى قوله إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وعنه أيضا الكبائر ثلاث الاشراك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله وقيل المراد بها أنواع الكفر بدليل قراءة عبد الله كبير ما تنهون عنه وهو الكفر وندخلكم مدخلا مدخلا مدنى وكلاهما بمعنى المكان والمصدر

ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما (32) ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيدا (33)

النساء 31 - 33
كريما حسنا وعن ابن عباس رضى اله عنهما ثمان آيات فى سورة النساء هى خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم أن الله لا يغفر أن يشرك به إن الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم وتشبت المعتزلة بالآية على أن الصغائر واجبة المغفرة باجتناب الكبائر وعلى أن الكبائر غير مغفورة باطل لأن الكبائر والصغائر فى مشيئته تعالى سواء إن شاء عذب عليهما و إن شاء عفى عنهما لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقد وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنها بمشيئته تعالى وقوله إن الحسنات يذهبن السيئات فهذه الآية تدل على أن الصغائر والكبائر يجوز أن يذهبا بالحسنات لأن لفظ السيئات ينطلق عليهما ولما كان اخذ مال الغير بالباطل وقتل النفس بغير حق بتمنى مال الغير وجاهه نهاهم عن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال بقوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد وبما ينبغى لكل من بسط فى الرزق أو قبض فعلى كل واحد أن يرضى بما قسم له ولا يحسد أخاه على حظه فالحسد أن يتمنى أن يكون ذلك الشئ له ويزول عن صاحبه والغبطة أن يتمنى مثل مالغيره وهو مرخص فيه والاول منهى عنه ولما قال الرجال نرجو أن يكون أجرنا على الضعف من أجر النساء كالميراث وقالت النساء يكون وزرنا على نصف وزر الرجال كالميراث نزل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وليس ذلك على حسب الميراث واسألوا الله من فضله فإن خزائنه لا تنفذ ولا تتمنوا ما للناس من الفضل إن الله كان بكل شيء عليما فالتفضيل منه عن علم بمواضع الاستحقاق قال ابن عبينة لم يأمر بالمسألة إلا ليعطى وفى الحديث من لم يسأل الله من فضله غضب عليه وفيه إن الله تعالى ليمسك الخير الكثير عن عبده ويقول لا أعطى عبدى حتى يسألنى وسلوا مكى وعلى ولكل المضاف إليه محذوف تقديره ولكل أحد أو لكل مال جعلنا موالى وراثا يلونه ويحرزونه مما ترك الوالدان والأقربون هو صفة مال محذوف أى من مال تركه الوالدان أو هو متعلق بفعل محذوف دل عليه الموالى تقديره يرثون مما ترك والذين عاقدت أيمانكم عاقدتهم أيديكم وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع

خبره وهو فآتوهم نصيبهم مع لفاء عقدت كوفى أى عقدت عهودهم أيمانكم والمراد به عقد

الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا (34)

النساء 33 - 34
الموالاة وهى مشروعة والوراثة بها ثابتة عند عامة الصحابة رضى الله عنهم وهو قولنا وتفسيره إذا أسلم رجل أو امرأة لا وارث له وليس بعربى ولا معتق فيقول لآخر واليتك على أن تعقلنى إذا جنيت وترث منى إذا مت ويقول الآخر قبلت انعقد ذلك ويرث الأعلى من الأسفل إن الله كان على كل شيء شهيدا أى هو عالم الغيب والشهادة وهو أبلغ وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك بما فضل الله بعضهم على بعض الضمير فى بعضهم للرجال والنساء يعنى إنما كانوا مسيطرين عليهن لسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء بالعقل والعزم والحزم والرأى والقوة والغزو وكمال الصوم والصلاة والنبوة والخلافة والإمامة والأذان والخطبة والجماعة والجمعة وتكبير التشريق عند أبى حنيفة رحمه الله والشهادة فى الحدود والقصاص وتضعيف الميراث والتعصيب فيه وملك النكاح والطلاف وإليهم الإنتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما أنفقوا من أموالهم وبأن نفقتهن عليهم وفيه دليل وجوب نفقتهن عليهم ثم قسمهن على نوعين النوع الأول فالصالحات قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب وهو خلاف الشهادة أى إذا كان الأزواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه فى حال الغيبة من الفروج والبيوت والأموال وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج بقوله وعاشروهن بالمعروف أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب أو بحفظ الله إياهن حيث صبرهن

كذلك والثاني واللاتى تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن طاعة الأزواج والنشر المكان المرتفع والنبوة عن ابن عباس رضى الله عنهما هو أن تستخف بحقوق زوجها ولا تطيع أمره فعظوهن خوفوهن عقوبة الله تعالى والضرب والعظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبائع النافرة واهجروهن فى المضاجع فى المراقد أى لا تداخلوهن تحت اللحف وهو كناية عن الجماع أو هو أن يوليها ظهره في المضجع لأنه لم يقل عن المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح أمر بوعظهن أولا ثم بهجرانهن فى المضاجع ثم بالضرب إن لم ينجح فيهن الوعظ والهجران فإن أطعنكم بترك النشوز فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى وسبيلا مفعول تبغوا وهو من بغيث الامر أى طلبته إن الله كان عليا كبيرا أى إن علت أيديكم عليهن فاعلموا أن قدرته عليكم أعظم من قدرتكم عليهن فاجتنبوا

وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا (35) واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا (36)

النساء 35 - 36
ظلمهن أو أن الله كان عليا كبيرا وأنكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فأنتم أحق بالعفو عمن يجنى عليكم إذا رجع ثم خاطب الولاة بقوله و إن خفتم شقاق بينهما أصله شقاقا بينهما فأضيف الشقاق إلى الظرف على سبيل الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار وأصله بل مكر فى الليل والنهار والشقاق العداوة والخلاف لأن كلا منهما يفعل ما يشق على صاحبه أو يميل إلى شق أى ناحية غير شق صاحبه والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء فابعثوا حكما من أهله رجلا يصلح للحكومة والإصلاح بينهما وحكما من أهلها و إنما كان بعث الحكمين من أهلهما لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح ونفوس الزوجين أسكن اليهم فيبرزان ما فى

ضمائرهما من الحب والبغض وإرادة الصحبة والفرقة والضمير فى إن يريدا إصلاحا للحكمين وفى يوافق الله بينهما للزوجين أى أن قصدا إصلاح ذات اليمين وكانت نيتهما صحيحة بورك فى وساطتهما وأوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الألفة والوفاق وألقى في نفوسهما المودة والاتفاق أو الضمير ان للحكمين أى أن قصدا إصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فينفقات على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يتم المراد أو الضمير أن للزوجين أى أن يريدا إصلاح ما بينهما وطلب الخير و أن يزول عنهما الشقاق يلق الله بينهما الألفة وأبدلهما بالشقاق الوفاق وبالبغضاء المودة أن الله كان عليما بإراده الحكمين خبيرا بالظالم من الزوجين وليس لهما ولاية التفريق عندنا خلافا لمالك رحمه الله واعبدوا الله قيل العبودية أربعة الوفاء بالعهود والرضا بالموجود والحفظ للحدود والصبر على المفقود ولا تشركوا به شيئا صنما وغيره ويحتمل المصدر أى إشراكا وبالوالدين إحسانا وأحسنوا بهما إحسانا بالقول والفعل والانفاق عليهما عند الاحتياج وبذى القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ أو عم أو غيرهما واليتامى والمساكين والجار ذى القربى الذى قرب جواره والجار الجنب أى الذى جواره بعيدا والجار القريب النسيب والجار الجنب الأجنبى والصاحب بالجنب أى الزوجة عن على رضى الله عنه أو الذى صحبك بأن حصل بجنبك إما رفيقا فى سفر أو شريكا فى تعلم علم أو غيره أو قاعد إلى جنبك فى مجلس أو مسجد وابن السبيل الغريب أو الضيف وما ملكت أيمانكم العبيد والإماء إن الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يانف عن قرابته وجيرانه فلا يلتفت اليهم

الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا (37) والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا (38) وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما (39) إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما (40)

فخورا يعدد مناقبه كبرا فإن عدها اعترافا كان شكورا الذين يبخلون نصب على البدل من من كان مختالا فخورا وجمع على معنى ن أو على الذم أو رفع على أنه خبر متبدا محذوف تقديره هم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بالبخل حمزة وعلى وهما لغتان كالرشد والرشد أى يبخلون بذات أيديهم و بما فى أيدى غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء قيل البخل أن يأكل بنفسه ولا يؤكل غيره والشح أن لا يأكل ولا يؤكل والسخاء أن يأكل ويؤكل والجودان يؤكل ولا يأكل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ويخفون ما أنعم الله عليهم به من المال وسعة الحال وفى الحديث إذا أنعم الله على عبده نعمة أحب أن يرى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به فقال الرجل يا أمير المؤمنين أن الكريم يسره أن يرى أثر نعمته فأحببت أن أسرك بالنظر إلى آثار نعمتك فأعجبه كلامه قيل نزلت فى شأن اليهود الذين كتموا صفة محمد عليه السلام وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا أى يهانون به فى الآخرة والذين ينفقون اموالهم معطوف على الذين يبخلون أو على الكافرين رئاء الناس مفعول له أى للفخار وليقال ما أجودهم لا لأبتغاء وجه الله وهم المنافقون أو مشركوا مكة ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم فى النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله و أى تبعة وبال عليهم فى الإيمان والإنفاق فى سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ و إلا فكل منفعة ومصلحة فى ذلك وهذا كما يقال للعاق وما فرك لو كنت بارا وقد علم أنه لا مضرة فى البر ولكنه ذم وتوبيخ وكان الله بهم عليما وعيد إن الله لا يظلم مثقال ذرة هى النملة الصغير وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أدخل يده فى التراب فرفعه ثم نفخ عليه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء فى الكوة ذرة و إن تك حسنة و إن يك مثقال الذرة حسنة و إنما أنث ضمير المثقال لكونه مضافا إلى مؤنث حسنة حجازى على كان التامة وحذفت النون من تكن تخفيفا لكثرة الاستعمال يضاعفها يضعفها ثوابها يعفها مكى وشامى ويؤت من لدنه أجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده ثوابا عظيما وما وصفه الله بالعظم فمن يعرف مقداره مع أنه سمى متاع الدنيا قليلا وفيه ابطال قول المعتزلة فى تخليد مرتكب

فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (41) يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا (42) يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا (43)

النساء 41 - 43
الكبيرة مع أن له حسنات كثيرة فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء أى أمتك شهيدا حال أى شاهدا على من آمن بالإيمان وعلى من كفر بالكفر وعلى من نافق بالنفاق وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا يومئذ ظرف لقوله يود الذين كفروا بالله وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض لو يدفنون فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى أو يودون أنهم لم يبعثوا و أنهم كانوا و الأرض سواء أو تصير البهائم ترابا فيودون حالها تسوى بفتح التاء وتخفيف السين والامالة وحذف إحدى التاءين من تتسوى حمزة وعلى تسوى بادغام التاء فى السين مدنى وشامى ولا يكتمون الله حديثا مستأنف أى ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم ولما صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما وشربا ودعا نفرا من الصحابة رضى الله عنهم حين كانت الخمر مباحة وأكلوا وشربوا فقدموا أحدهم ليصلى بهم المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد نزل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى أى لا تقربوها فى هذه الحالة حتى تعلموا ما تقولون أى تقرءون وفيه دليل على أن ردة السكران ليست بردة لأن قراءة سورة الكافرين بطرح اللامات كفر ولم يحكم بكفره حتى خاطبهم باسم الإيمان وما أمر النبى عليه السلام بالتفريق بينه بين امرأته ولا بتجديد الإيمان و لأن الأمة اجتمعت على أن من أجرى كلمة الكفر على لسانه مخطئا لا يحكم بكفره ولا جنبا عطف على وأنتم سكارى

لأن محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا أى ولا تصلوا جنبا والجنب يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذى هو الإجناب إلا عابرى سبيل صفة لقوله جنبا أى لا تقربوا الصلاة جنبا غير عابرى سبيل أى جنبا مقيمين غير مسافرين والمراد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا إلا أن تكونوا مسافرين عادمين الماء متيممين عبر عن المتيمم المسافر لأن غالب حاله عدم الماء وهذا مذهب أبى حنيفه رحمه الله وهو مروى عن على رضى الله عنه وقال الشافعى رحمه الله لا تقربوا الصلاة أى مواضع الصلاة وهى المساجد ولا جنبا أى ولا تقربوا المسجد جنبا إلا عابرى سبيل إلا مجتازين فيه فيجوز للجنب العبور فى المسجد عند الحاجة و إن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد

ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل (44) والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا (45) من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا (46)

النساء 43 - 46
منكم من الغائط أى المطمئن من الأرض وكانوايأتونه لقضاء الحاجة فكنى به عن الحديث أو لامستم النساء جامعتموهن كذا عن على رضى الله عنه وابن عباس فلم تجدوا ماء فلم تقدروا على استعماله لعدمه أو بعده أو فقد آله الوصول إليه أو لمانع من حية أو سبع أو عدو فتيمموا أدخل فى حكم الشرط أربعة وهم المرضى
والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة والجزاء الذى هو الأمر بالتيمم متعلق بهم جميعا فالمرضى إذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول إليه والمسافرون إذا عدموه لبعده والمحدثون و أهل الجنابة إذا لم يجدوه لبعض الأسباب فلهم أن يتيمموا لمستم حمزة وعلى صعيدا قال الزجاج هو وجه الأرض ترابا كان أو غيره و إن كان صخرا لا ترا عليه لو ضرب المتيمم يده ومسح لكان ذلك طهوره ومن

فى سورة المائدة لابتداء الغاية لا للتبعيض طيبا طاهرا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم قيل الباء زائدة إن الله كان عفوا بالترخيص والتيسير غفورا عن الخطا والتقصير ألم تر من روية القلب وعدى بالى على معنى ألم ينته علمك إليهم أو بمعنى ألم تنظر اليهم إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب حظا من علم التوراة وهم أحبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم و أنه هو النبى العربى المبشر به فى التوراة والانجيل ويريدون أن تضلوا أنتم أيها المؤمنون السبيل أى سبيل الحق كما ضلوه والله أعلم منكم بأعدائكم وقد أخبركم بعداوة هؤلاء فاحذروهم ولا تستنصحوهم فى أموركم وكفى بالله وليا فى النفع وكفى بالله نصيرا فى الدفع فثقوا بولايته ونصرته دونهم أولا تبالوا بهم فإن الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم وليا ونصيرا منصوبان على التمييز أو على الحال من الذين هادوا بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب أو بيان لأعدائكم وما بينهما اعتراض أو يتعلق بقوله نصيرا أى ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا أو يتعلق بمحذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم فقوم مبتدأ ويحرفون صفة له والخبر من الذين هادوا مقدم عليه وحذف الموصوف وهو قوم وأقم صفته وهو يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه فى التوراة التى وضعه الله تعالى فيها وأزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم أسمر ربعة عن موضعه فى التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ثم ذكر هنا عن مواضعه وفى المائدة من بعد مواضعه فمعنى عن مواضعه على ما بينا من

يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا (47)

النساء 46 - 47
إزالته عن مواضعه التى أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه ومعنى من بعد مواضعه أنه كان له

مواضع هو جدير بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاران ويقولون سمعنا قولك وعصينا أمرك قيل أسروا به واسمع قولنا غير مسمع حال من المخاطب أى اسمع و أنت غير مسمع هو قول ذو وجهين يحتمل الذم أى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لأنه لو أجبت دعوتهم عليه لم يسمع شيئا فكان أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لا سمعت دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعوا إليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويحتمل المدح أى اسمع غير مسمع مكروها من قولك أسمع فلان فلانا إذا سبه وكذلك قوله وراعنا يحتمل راعنا نكلمك أى ارقبنا وانتظرنا ويحتمل سبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهى راعنا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام ليا بألسنتهم فتلابها وتحريفا أى يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروها أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقا وطعنا فى الدين هو قولهم لو كان نبيا حقا لأخبر بما نعتقد فيه ولو أنهم قالوا سمعنا واطعنا ولم يقولوا وعصينا واسمع ولم يلحقوا به غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان قولهم ذاك خيرا لهم عند الله وأقوم وأعدل وأسد ولكن لعنهم الله بكفرهم طردهم وأبعدهم عن رحمته بسبب اختيارهم الكفر فلا يؤمنون إلا قليلا منهم قد آمنوا كعبد الله ابن سلام وأصحابه أو إلا إيمانا قليلا ضعيفا لا يعبأ به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره ولما لم يؤمنوا أنزل يا أيها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا يعنى القرآن مصدقا لما معكم يعنى التوراة من قبل أن نطمس وجوها أى نمحوا تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم فنردها على أدبارها فنجعلها على هيئة أدبارها وهى الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب و إن جعلتها للتعقيب على أنهم توعدوا بعقابين أحدهما عقيب الآخر ردها على أدباراها بعد طمسها فالمعنى أن نطمس وجوها فننكس الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام وقيل المراد

إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن

يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما (48) ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا (49)

النساء 47 - 50
بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رءوسهم ووجهاؤهم أى من قبل أن تغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صفارهم وإدبارهم أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت أى تخزيهم بالمسخ كما مسخنا أصحاب السبت والضمير يرجع إلى الوجوه إن أريد الوجهاء أو إلى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات والوعيد كان معلقا بألا يؤمن كلهم وقد آمن بعضهم فإن ابن سلام قد سمع الآية قافلا من الشام فأتى النبى صلى الله عليه وسلم مسلما قبل أن يأتى أهله وقال ما كنت أرى أن أصل إلى أهلى قبل أن يطمس الله وجهى أو أن الله تعالى أوعدهم بأحد الأمرين بطمس الوجوه أو بلعنهم فان كان الطمس تبدل أحوال رؤسائهم فقد كان أحد الأمرين و إن كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان وقيل هو منتظر فى اليهود وكان أمر الله أى المأمور به وهو العذاب الذى أوعدوا به مفعولا كائنا لا محالة فلا بد أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا إن الله لا يغفر أن يشرك به إن مات عليه ويغفر ما دون ذلك أى ما دون الشرك و إن كان كبيرة مع عدم التوبة والحاصل أن الشرك مغفور عنه بالتوبة و إن وعد غفران ما دونه لمن لم يتب أى لا يغفر لمن يشرك وهو مشرك ويغفر لمن يذنب وهو مذنب قال النبى عليه السلام من لقى الله تعالى لا يشرك به شيئا دخل الجنة ولم تضره خطيئته وتقييده بقوله لمن يشاء لا يخرجه عن عمومه كقوله الله لطيف بعباده يرزق من يشاء قال على رضى الله عنه ما فى القرآن آية أحب إلى من هذه الآية وحمل المعتزلة على التائب باطل لأن الكفر مغفور عنه بالتوبة لقوله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فما دونه أولى أن يغفر بالتوبة و الآية سيقت لبيان التفرقة بينهما وذا فيما ذكرنا ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما كذب كذبا عظيما استحق به عذابا أليما ونزل فيمن زكى نفسه من اليهود والنصارى حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا ن كان هودا أو نصارى ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى بل الله يزكىمن يشاء إعلام بأن

تزكية الله هى التى يعتدبها لا تزكية غيره لأنه هو العالم بمن هو أهل للتزكية ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو أعلم بمن اتقى ولا يظلمون أى الذين يزكون أنفسهم يعاقبون على تزكية أنفسهم حق جزائهم أو من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم فتيلا قدر فتيل وهو ما يحدث بفتل الأصابع من الوسخ انظر

انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا (50) ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا (51) أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا (52) أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا (53) أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما (54) فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا (55)

النساء 50 - 55
كيف يفترون على الله الكذب فى زعمهم أنهم عند الله أزكياء وكفى به بزعمهم هذا إثما مبينا من بين سائر آثامهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يعنى اليهود يؤمنون بالجبت أى الأصنام وكل ما عبدوه من دون الله والطاغوت الشيطان ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا وذلك أن حيى بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أنتم أهل الكتاب وأنتم إلى محمد أقرب منا وهو أقرب منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسحدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا ابليس عليه اللعنة فيما فعلوا فقال أبو سفيان أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقال كعب أنتم اهدى سبيلا أولئك الذين لعنهم الله وأبعدهم من رحمته ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يعتد بنصره ثم وصف اليهود بالبخل والحسد وهما من شر الخصال يمنعون مالهم ويتمنون ما لغيرهم فقال أم لهم نصيب من الملك فأم منقطعة ومعنى الهمزة الإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أى لو كان لهم

نصيب من الملك أى ملك أهل الدنيا أو ملك الله فإذا لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم والقير النقرة فى ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وإزدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب أى التوراة والحكمة الموعظ والفقه وآتيناهم ملكا عظيما يعنى ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وهنا إلزام لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد عليه السلام و أنه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما أوتى أسلافه فمنهم من آمن به فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه و انكره مع علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم

إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما (56) والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا (57) إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا (58)

النساء 55 - 58
ومنهم من أنكر نبوته وأعرض عنه وكفى بجهنم سعيرا للصادين إن الذين كفروا بآيتانا سوف نصليهم ندخلهم نارا كلما نضجت جلودهم أحرقت بدلناهم جلودا غيرها أعدنا تلك الجلود غير محترقة فالتبديل والتغيير لتغاير الهيئتين لا لتغاير الأصلين عند أهل الحق خلافا للكرامية وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أى أدامك على عزك إن الله كان عزيزا غالبا بالانتقام لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما فيما يفعل بالكافرين والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا

لهم فيها أزواج مطهرة من الأنجاس والحيض والنفاس وندخلهم ظلا ظليلا هو صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل وهو ما كان طويلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا ننسخه الشمس وسجسجا لا حرفيه ولا برد وليس ذلك إلا ظل الجنة ثم خاطب الولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل بقوله إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وقيل قد دخل فى هذا الأمر أداء الفرائض التى هى أمانة الله تعالى التى حملها الإنسان وحفظ الحواس التى هى ودائع الله تعالى و إذا حكمتم بين الناس قضيتم أن تحكموا بالعدل بالسوية والانصاف وقيل إن عثمان بن طلحة بن عبد الدار كان سادن الكعبة وقد اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه مفتاح الكعبة فلما نزلت الآية أمر عليا رضى الله عنه بأن يرده إليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا و قرأ عليه الآية فأسلم عثمان فهبط جبريل عليه السلام وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السدانة فى أولاد عثمان أبدا إن الله نعما يعظكم به ما نكرة منصوبة موصوفة ببعظكم به كأنه قيل نعم شيئا يعظكم به أو موصولة مرفوعة المحل صلتها ما بعدها أى نعم الشئ الذى يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أى نعما يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل فى الحكم وبكسر النون وسكون العين مدنى و أبو عمرو وبفتح النون وكسر العين شامى وحمزة وعلى إن الله كان سميعا لاقوالكم بصيرا بأعمالكم لما

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا (59) ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (60) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا (61)

النساء 59 - 61
أمر الولاة بأداء الأمانات والحكم بالعدل أمر الناس بأن يطيعوهم بقوله يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر

منكم أى الولاة أو العلماء لأن أمرهم ينفذ على الأمراء فإن تنازعتم فى شيء فإن اختلفتم انتم واولوا الأمر فى شيء من أمور الدين فردوه إلى الله والرسول أى ارجعوا فيه إلى الكتاب والسنة إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر أى أن الإيمان يوجب الطاعة دون العصيان ودلت الآية على أن طاعة الامراء واجبة إذا وافقوا الحق فإذا خالفوه فلاطاعة لهم لقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وحكى أن مسلمة ابن عبد الملك بن مروان قال لأبى حازم ألستم أمرتم بطاعتنا بقوله وأولى الأمر منكم فقال أبو حازم أليس قد نزعت الطاعة عنكم إذا خالفتم الحق بقوله فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إلى القرآن والرسول فى حياته و إلى أحاديثه بعد وفاته ذلك إشارة إلى الرد أى الردإلى الكتاب والسنة خير عاجلا وأحسن تأويلا عاقبة كان بين بشر المنافق ويهودى خصومة فدعاه اليهودى إلى النبى صلى الله عليه وسلم لعلمه أنه لا يرتشى ودعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليرشوه فاحتكما إلى النبى عليه السلام فقضى لليهود فلم يرض المنافق وقال تعالى نتحاكم إلى عمر فقال االيهودى لعمر رضى الله عنه قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل عمر فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق فقال هكذا أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزل ألم تر إلى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وقال جبريل عليه السلام إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق يريدون حال من الضمير فى يزعمون أن يتحاكموا إلى الطاغوت أى كعب بن الأشرف سماه الله طاغوتا لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله عليه السلام أو على التشبيه بالشيطان أو جعل اختيار التحاكم إلى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم إليه تحاكما إلى الشيطان بدليل قوله وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم عن الحق ضلالا بعيدا مستمرا إلى الموت و إذا قيل لهم للمنافقين تعالوا إلى ما أنزل الله و إلى

فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا (62) أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (63)

وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (64)

النساء 61 - 64
الرسول للتحاكم رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا يعرضون عنك إلى غيرك ليغروه بالرشوة فيقضى لهم فكيف تكون حالهم وكيف يصنعون إذا أصابتهم مصيبة من قتل عمر بشرا بما قدمت أيديهم من التحاكم إلى غيرك واتهامهم لك فى الحكم ثم جاءوك أى أصحاب القتيل من المنافقين يحلفون بالله حال إن أردنا ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا إحسانا لا إساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم ترد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك وهذا وعيد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغنى عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه يحكم له بما حكم به أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا فأعرض عن قبول الأعذار وعظ بالزجر والانكار وبالغ فى وعظهم بالتخويف والانذار أو اعرض عن عقابهم وعظهم فى عتابهم وبلغ كنه ما فى ضميرك من الوعظ بارتكابهم والبلاغة أن يبلغ بلسانه كنه ما فى جنانه و فى أنفسهم يتعلق يقل لهم أى قل لهم فى معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم وما أرسلنا من رسول أى رسولا قط ليطاع باذن الله بتوفيقه فى طاعته وتيسيره أو بسبب إذن الله فى طاعته وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاءوك تائبين من النفاق معتذرين عما ارتكبوا من الشقاق فاستغفروا الله من النفاق والشقاق واستغفر لهم الرسول بالشفاعة لهم والعامل فى إذ ظلموا خير أن وهو جاءوك والمعنى ولو وقع مجيئهم فى وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول لوجدوا الله توابا لعلموه توابا أى لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما لشأنه صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان

رحيما بهم قيل جاء إعرابى بعد دفنه عليه السلام فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا وكان فيما أنزل عليك ولو أنهم إذ ظلموا

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (65) ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا (66) وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما (67) ولهديناهم صراطا مستقيما (68) ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (69)

النساء 65 - 69
أنفسهم الآية وقد ظلمت نفسى وجئتك أستغفر الله من ذنبى فاستغفر لى من ربى فنودى من قبره قد غفر لك فلا وربك أى فوربك كقوله فوربك لنسألهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم وجواب القسم لا يؤمنون أو التقدير فلا أى ليس الأمر كما يقولون ثم قال وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا ضيقا مما قضيت أى لا تضيق صدورهم من حكمك أو شكا لأن الشاك فى ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين ويسلموا تسليما وينقادوا لقضائك انقيادا وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها أى جعلها سالمة له أى خالصة وتسليما مصدر مؤكد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل ويقادوا لحكمك انقايدا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم والمعنى لا يكونون مؤمنين حتى يرضوا بحكمك وقضائك ولو انا كتبنا عليهم على المنافقين أى ولو وقع كتبنا عليهم أن اقتلوا أن هى المفسرة أنفسكم أى تعرضوا للقتل بالجهاد أو ولو أو جبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بنى إسرائيل من قتلهم أنفسهم أو اخرجوا من دياركم بالهجرة ما فعلوه لنفاقهم والهاء ضمير أحد مصدرى الفعلين وهو القتل أو الخروج أو ضمير المكتوب لدلالة كتبنا عليه الا قليل منهم قليلا شامى على الاستثناء والرفع على البدل من واو فعلوه ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به من أتباع رسول الله عليه السلام والانقياد لحكمه لكان خيرا لهم فى

الدارين وأشد تثبيتا لايمانهم و أبعد عن الاضطراب فيه و إذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل و إذا ولو ثبتوا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما أى ثوابا كثيرالا ينقطع ولهديناهم صراطا مفعول ثان مستقيما أى لثبتناهم على الدين الحق ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين كأفاضل صحابة الأنبياء والصديق المبالغ فى صدق ظاهره بالمعاملة وباطنه بالمراقبة أو الذى يصدق قوله بفعله والشهداء والذين استشهدوا فى سبيل الله والصالحين ومن صلحت أحوالهم وحسنت اعمالهم وحسن أولئك

ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما (70) يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا (71) وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا (72) ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (73) فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما (74)

النساء 96 - 74
رفيقا أى وما أحسن أولئك رفيقا وهو كالصديق والخليط فى استواء الواحد والجمع فيه ذلك مبتدأ خبره الفضل من الله أو الفضل صفته ومن الله خبره والمعنى أن ما أعطى المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه تفضل به عليهم أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومرتبتهم من الله وكفى بالله عليما بعباده وبمن هو أهل الفضل ودلت الآية على أن ما يفعل الله بعباده فهو فضل منه بخلاف ما يقوله المعتزلة يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى وهو التحرز وهما كالإثر والأثر يقال اخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التى يقى بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا أنه من العدو فانفروا ثبات فاخرجوا ألى العدو جماعات متفرقة سرية بعد سربة فالثبات الجماعات واحدها ثبات أو انفروا جميعا أى مجتمعين أو مع النبي عليه السلام لأن الجمع بدون السمع لا يتم والعقد بدون الواسطة لا ينتظم

أو انفروا ثبات إذا لم يعم النفير أو انفروا جميعا إذا عم النفير وثبات حال وكذا جميعا وللام فى و إن منكم لمن للابتداء بمنزلتها فى إن الله لغفور ومن موصولة وفى ليبطئن اللام وجواب قسم محفوظ تقديره و إن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها إليه ما استكن فى ليبطئن أى ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطؤ بمعنى أبطأ أى تأخرو يقال ما بطؤبك فيتعدى بالباء والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم و قوله منكم أى فى الظاهر دون الباطن يعنى المنافقين يقولون لم تقتلون انفسكم تأتوا حتى يظهر الأمر فإن أصابتكم مصيبة قتل أو هزيمة قال المبطى قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبنى مثل ما أصابهم ولئن أصابكم فضل من الله فتح أو غنيمة ليقولن هذا المبطئ مثلهفا على ما فاته من الغنيمة لا طلبا للمثوبة كأن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى كأنه لم يكن وبالتاء مكى وحفص بينكم وبينه مودة وهى اعتراض بين الفعل وهو ليقولن وبين مفعلوله وهو يا ليتنى كنت معهم والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين فى الظاهر و إن كانوا يبغون لهم الغوائل فى الباطن فأفوز بالنصيب لأنه جواب التمنى فوزا عظيما فآخذ من الغنيمة حظا وافرا فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون يبيعون الحيوة الدنيا بالآخرة والمراد المؤمنون الذين

وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا (75)

النساء 74 - 75
يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها أى إن صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون أو يشترون والمراد المنافقون الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما وعد الله المقاتل فى سبيل الله ظافرا أو مظفورا به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده فى

اعزاز دين الله ومالكم مبتدأ وخبر وهذا الاستفهام فى النفى للتنبيه على الاستبطاء وفى الاثبات للانكار لا تقاتلون فى سبيل الله حال والعامل فيها الاستقرار كما تقول مالك قائما والمعنى و أشىء لكم تاركين القتال وقد ظهرت دواعيه والمستضعفين مجرور بالعطف على سبيل الله أي في سبيل الله وفى خلاص المستضعفين أو منصوب على الاخت منه أى واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين من المستضعفين لأن سبيل الله عام فى كل خير وخلاص المسلمين من أيدى الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد من الرجال والنساء والولدان ذكر الولدان تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لا بائهم وأمهاتم و لأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام عن ابن عباس رضى الله عنهما كنت أنا و أمى من المستضعفين من النساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية يعنى مكة الظالم أهلها الظالم وصف للقرية إلا أنه مسند إلى أهلها فاعطى اعراب القرية لأنه صفتها وذكر لاسناده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية التى ظلم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا يتولى أمرنا ويستنقذنا من أعدائنا واجعل لنا من لدنك نصيرا ينصرنا عليهم كانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة وبقى بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولى وناصر وهو محمد عليه السلام فتولاهم أحسن التولى و نصرهم أقوى النصر ولما خرج محمد صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس رضى الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا أعزبها من الظلمة رغب الله المؤمنين بأنهم يقاتلون فى سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون فى

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا (76) ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو

أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا (77) أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا (78)

النساء 76 - 78
سبيل الشيطان فلاولى لهم إلا الشيطان بقوله الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت أى الشيطان فقاتلوا أولياء السيطان أى الكفار إن كيد الشيطان أى وساوسه وقيل الكيد السعى فى فساد الحال على جهة الاحتيال كان ضعيفا لأنه غرور لا يؤول إلى محصول أو كيده فى مقابلة نصر الله ضعيف كان المسلمون مكفوفين عن القتال مع الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فنزل ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم أى عن القتال وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال أي فرض بالمدينة إذا فريق منهم يحشون الناس كخشية الله يخافون أن يقاتلهم الكفار كما يخافون أن ينزل الله عليهم بأسه لا شكا فى الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالأرواح وخوفا من الموت قال الشيخ أبو منصور رحمه الله هذه خشية طبع لا أن ذلك منهم كراهة لحكم الله وأمره اعتقادا فالمرء مجبول على كراهة ما فيه خوف هلاكه غالبا وخشية الله من إضافة المصدر إلى المفعول ومحله النصب على الحال من الضمير فى يخشون أى يشخون الناس مثل خشية الله أى مشيهين لأهل خشية الله أو أشد خشية هو معطوف على الحال أى أو أشد خشية من أهل خشية الله و أو للتخيير أي إن قلت خشيتهم الناس كخشية الله فانت مصيب وان قلت أنها أشد فأنت مصيب لأنه حصل لهم مثلها وزيادة وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لو لا أخرتنا إلى أجل قريب هلا امهلتنا إلى الموت فنموت على الفرش وهو سؤال على وجه الحكمة فى فرض القتال عليهم لا اعتراض لحكمه بدليل أنهم لم يوبخوا على هذا السؤال بل أجيبوا بقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى متاع الدنيا قليل زائل ومتاع الآخرة كثير دائم و الكثير إذا كان على شرف الزوال فهو قليل فكيف القليل الزائل ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون أدنى

شيء من أجوركم على مشاق القتل فلا ترغبوا عنه وبالياء مكى وحمزة وعلى ثم أخبر أن الحذر لا ينجى من القدر بقوله أينما تكونوا يدرككم الموت ما زائدة لتوكيد معنى الشرط فى أين ولو كنتم فى بروج حصون

ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا (79) من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا (80) ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (81)

النساء 78 - 81
أو قصور مشيدة مرفعة و إن تصبهم حسنة نعمة من خصب ورخاء يقولوا هذه من عند الله نسبوها إلى الله و إن تصبهم سيئة بلية من قحط وشدة يقولوا هذه من عندك أضافوها اليك وقالوا هذه من عندك وما كانت الابشؤمك وذلك أن المنافقين واليهود كانوا إذا أصابهم خير حمدوا الله تعالى و إذا أصابهم مكروه نسبوه إلى محمد صلى الله عليه وسلم فكذبهم الله تعالى بقوله قل كل من عند الله والمضاف إليه محذوف أى كل ذلك فهو يبسط الأرزاق ويقبضها فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون يفهمون حديثا فيعلمون أن الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة ثم قال ما أصابك يا إنسان خطابا عاما وقال الزجاج المخاطب به النبى عليه السلام والمراد غيره من حسنة من نعمة وإحسان فمن الله تفضلا منه وامتنانا وما أصابك من سيئة من بلية ومصيبة فمن نفسك فمن عندك أى فيما كسبت يداك وماأصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم وأرسلناك للناس رسولا لا مقدرا حتى نسبوا اليك الشدة أو أرسلناك للناس رسولا فاليك تبليغ الرسالة وليس اليك الحسنة والسيئة وكفى بالله شهيدا بأنك رسوله وقيل هذا متصل بالاول أى لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك وحمل المعتزلة الحسنة والسيئة فى الآية الثانية على الطاعة والمعصية تعسف بين وقد نادى عليه ما أصابك إذ يقال فى الأفعال ما أصبت ولأنهم لا يقولون الحسنات من الله خلقا

وإيجاد فأنى يكون لهم حجة فى ذلك وشهيدا تمييز من يطع الرسول فقد اطاع الله لأنه لا يأمر ولا ينهى إلا بما أمر الله به ونهى عنه فكانت طاعته فى أوامره ونواهيه طاعة لله ومن تولى عن الطاعة فأعرض عنه فما أرسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم ويقولون ويقول المنافقون إذا أمرتهم بشئ طاعة خبر مبتدأ لمحذوف أى أمرنا وشأننا طاعة فأذا برزوا خرجوا من عندك بيت طائفة منهم زور وسوى فهو من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل أو من أبيات الشعر لأن الشاعر يديرها ويسويها وبالادغام حمزة و أبو عمرو غير الذى تقول خلاف ما قلت وما أمرت به أو خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لأنهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة

أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (82) وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا (83)

النساء 81 - 83
و إنما ينافقون بما يقولون ويظهرون والله يكتب ما يبيتون يثبته فى صحائف أعمالهم ويجازيهم عليه فأعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالأنتقام منهم وتوكل على الله فى شأنهم فإن الله يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم إذا قوى أمر الإسلام وكفى بالله وكيلا كافيا لمن توكل عليه أفلا يتدبرون القرآن أفلا يتأملون معانيه ومبانيه والتدبر التأمل والنظر فى أدبار الأمور وما يؤل إليه فى عاقبته ثم استعمل فى كل تأمل والتفكر تصرف القلب بالنظر فى الدلائل وهذا يرد قول من زعم من الروافض أن القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول صلى الله عليه وسلم والامام المعصوم ويدل على صحة القياس وعلى بطلان التقليد ولو كان من عند غير الله كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا أى تناقضا من حيث التوحيد والتشريك والتحليل والتحريم أو تفاوتا من حيث البلاغة فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته أو من حيث المعانى فكان بعضه إخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه إخبار مخالفا للمخبر عنه

وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم وأما تعلق الملحدة بآيات يدعون فيها اختلافا كثيرا من نحو قوله فإذا هى ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسألنهم أجمعين فيؤمئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان فقد تفضى عنها أهل الحق وستجدها مشروحة فى كتابنا هذا فى مظانها إن شاء الله تعالى و إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالأحوال أو المنافقون كانوا إذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل أذاعوا به أفشوه وكانت إذاعتهم مفسدة يقال أذاع السر وأذاع به والضمير يعود إلى الأمر أو إلى الأمن أو الخوف لأن أو تقتضى أحدهما ولو ردوه أى ذلك الخبر إلى الرسول أى رسول الله صلى الله عليه وسلم و إلى أولى الأمر منهم يعنى كبراء الصحابة البصراء بالأنور أو الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما أخبروا به الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينشر فيبلغ الأعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه إلى الرسول و إلى أولى الأمر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه والنبط الماء الذى

فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا (84) من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا (85) وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا (86)

النساء 83 - 86
يخرج من البئر أول ما تجفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل ولولا فضل الله عليكم بارسال الرسول ورحمته بانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر إلا قليلا لم يتبعوه ولكن آمنوا بالعقل

كزيد ابن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وغيرهما لما ذكر فى الآى قبلها تثبطهم عن القتال وإظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل فى سبيل الله إن أفردوك وتركوك وحدك لا تكلف إلا نفسك غير نفسك وحدها أن تقدمها إلى الجهاد فإن الله تعالى ناصرك لا الجنود وقيل دعا الناس فى بدر الصغرى إلى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت فخرج وما معه إلا سبعون ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده وحرض المؤمنين وما عليك فى شأنهم إلا التحريض على القتال فحسب لا التعنيف بهم عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا أى بطشهم وشدتهم وهم قريش وقد كف بأسهم بالرعب فلم يخرجوا وعسى كلمة مطمعة غير أن إطماع الكريم أعود من انجاز اللئيم والله أشد بأسا من قريس وأشد تنكيلا تعذيبا وهو تمييز كبأسا من يشفع شفاعة حسنة هى الشفاعة فى دفع شر أو جلب نفع مع جوازها شرعا يكن له نصيب منها من ثواب الشفاعة ومن يشفع شفاعة سيئة هى خلاف الشفاعة الحسنة قال ابن عباس رضى الله عنهما مالها مفسر غيرى معناه ن أمر بالتوحيد وقاتل أهل الكفر وضده السيئة وقال الحسن هو المشى بالصلح وضده النميمة يكن له كفل منها نصيب وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من أقات على الشئ اقتدر عليه أو حفيظا من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها و إذا حييتم أى سلم عليكم فإن التحية فى ديننا بالسلام فى الدارين فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وكانت العرب تقول عند اللقاء حياك الله أى أطال الله حياتك فابدل ذلك بعد الإسلام بالسلام بتحية هى تفعلة من حيا يحيى تحية فحيوا بأحسن منها أى قولوا وعليكم السلام ورحمة الله إذا قال السلام عليكم وزيدوا وبركاته إذا قال ورحمة الله ويقال لكل شيء منتهى ومنتهى السلام وبركاته أوردوها أى أجيبوها بمثلها ورد السلام جوابه بمثله لأن المجيب يرد قول المسلم وفيه حذف مضاف أى ردوا مثلها

الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا (87) فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (88) ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم

حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا (89)

النساء 86 - 89
والتسليم سنة والرد فريضة والاحسن فضل وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام فى الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان والإقامة وعند أبى يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب الشطرنج والنرد والمغنى والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعارى من غير عذر فى حمام أو غيره ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته والماشى على القاعد والراكب على الماشى وراكب القرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الأكثر و إذا التقيا ابتدرا وقيل بأحسن منها لأهل الملة أو ردوها لأهل الذمة وعن النبى صلى الله عليه وسلم إذا سلم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أى وعليكم ما قلتم لأنهم كانوا يقولون السام عليكم وقوله عليه السلام لا غرار فى تسليم أى لا يقال عليك بل عليكم لأن كاتبيه معه إن الله كان على كل شيء حسيبا أى يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها الله مبتدأ لا إله إلا هو خبره او اعتراض والخبر ليجمعكم ومعناه الله والله ليجمعكم إلى يوم القيامة أى ليحشرنكم إليه والقيامة القيام كالطلابة والطلاب وهى قيامهم من القبور أو قيامهم للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين لا ريب فيه هو حال من يوم القيامة والهاء يعود إلى اليوم أو صفة لمصدر محذوفة أى جمعا لا ريب فيه والهاء يعود إلى الجمع ومن أصدق من الله حديثا تمييز وهو استفهام بمعنى النفى أى لا أحد أصدق منه فى اخباره ووعده ووعيده لاستحالة الكذب عليه لقبحه لكونه إخبارا عن الشئ بخلاف ما هو عليه فمالكم مبتدأ وخبر فى المنافقين فئتين أى مالكم اختلفتم فى شأن قوم قدنا فقوا نفاقا ظاهرا و تفرقتم فيهم فرقتين القول بكفرهم و ذلك أن قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج إلى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وفئتين حال كقولك مالك قائما قال سيبويه إذا قلت مالك قائما فمعناه لم قمت ونصبه على تأويل أى شيء يستقر لك فى هذه الحال والله أركسهم ردهم إلى حكم الكفار بما كسبوا

من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين فردوهم أيضا ولا تختلفوا فى كفرهم أتريدون أن تهدوا أن تجعلوا من جملة المهتدين من أضل الله من جعله الله ضالا أو اتريدون أن تسموهم مهتدين وقد أظهر الله ضلالهم فيكون تعييرا لمن سماهم مهتدين و الآية تدل على مذهبنا فى إثبات الكسب للعبد والخلق للرب جلت قدرته ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا طريقا إلى الهداية ودوا لو تكفرون كما كفروا

إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا (90) ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا (91)

النساء 89 - 91
الكاف نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أى ودوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم فتكونون عطف على تكفرون سواء أى مستوين انتم وهم فى الكفر فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا لأن الهجرة في سبيل الله بالأسلام فأن تولوا عن الأيمان فخذوهم و أقتلوهم حيث حتى وجدتموهم كما كان حكم سائر المشركين ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم إلا الذين يصلون إلى قوم أى ينتهون اليهم ويتصلون بهم والاستثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم دون الموالاة بينكم وبينهم ميثاق القوم هم إلا سلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك أنه وادع قبل خروجه إلي مكة هلال بن عويمر الاسلمى على أن لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل الى هلال والتجأ إليه فله من الجوار مثل الذى لهلال أى فاقتلوهم إلا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم عطف على صفة قوم أى إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم أو على صلة الذين أى إلا الذين يتصلون بالمعاهدين أو الذين لا يقاتلونكم حصرت صدورهم حال باضمار قدو الحصر الضيق

والانقباض أن يقاتلوكم عن أن يقاتلوكم أى عن قتالكم أو يقاتلوا قومهم معكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بتقوية قلوبهم وازاله الحصر عنها فلقاتلوكم عطف على نسلطهم ودخول اللام للتأكيد فإن اعتزلوكم فإن لم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم وألفوا إليكم السلم أى الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا إلى القتال ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم بالنفاق ويأمنوا قومهم بالوفاق هم قوم من أسدو غطفان كانوا إذا أتو المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا إلى الفتنة كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين أركسوا فيها قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه كانوا شرا فيها من كل عدو فإن لم يعتزلوكم فإن لم يعتزلوا قتالكم ويلقوا إليكم السلم عطف على لم يعتزلوكم أى ولم ينقادوا

وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما (92) ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما (93)

النساء 91 - 92
لكم بطلب الصلح ويكفوا أيديهم عطف عليه أيضا أى ولم يمسكوا عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم وظفرتم بهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر وإضرارهم بالمسلمين أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم فى قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله أن يقتل مؤمنا ابتداء من غير قصاص أى ليس المؤمن كالكافر الذى تقدم إباحة دمه إلا خطأ إلا على وجه الخطأ وهو استثناء منقطع بمعنى لكن أى لكن إن وقع خطأ ويحتمل أن يكون صفة لمصدر أى إلا قتلا خطأ والمعنى من شأن المؤمن أن ينتفى عنه وجوده قتل المؤمن ابتداء البتة إلا إذا وجد منه

خطأ من غير قصد بأن يرمى كافرا فيصيب مسلما أو يرمى شخصا على أنه كافر فإذا هو مسلم ومن قتل مؤمنا خطأ صفة مصدر محذوف أى قتلا خطأ فتحرير رقبة مبتدأ والخبر محذوف أى فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لأن الكرم فى الاحرار كما أن اللؤم فى العبيد ومنه عتاق الطير وعتاق الخيل لكرامها والرقبة النسمة ويعبر عنها بالرأس فى قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق مؤمنة قيل ما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الاحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها فى جملة الاحرار لأن أطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل أن الرقيق ملحق بالاموات إذ الرق أثر من آثار الكفر والكفر موت حكما أو من كان ميتا فأحييناه ولذا منع من تصرف الاحرار وهذا مشكل إذ لو كان كذلك لوجب فى العمد أيضا لكن يحتمل أن يقال إنما وجب عليه ذلك لأن الله تعالى أبقى للقاتل نفسا مؤمنة حيث لم يوجب القصاص فأوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة فى كل شيء فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية و إذا لم يبق وارث فهى لبيت المال وقد ورث رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة اشيم الضبابى من عقل زوجها اشيم لكن الدية على العاقلة والكفارة على القاتل إلا أن يصدقوا إلا أن يتصدقوا عليه بالدية أى يعفوا عنه والتقدير فعليه ديه فى كل حال إلا فى حال لتصدق عليه بها فإن كان من قوم عدولكم فإن فإن كان المقتول خطأ من قوم أعداءلكم أى كفرة فالعدو يطلق على الجميع وهو مؤمن أى المقتول مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة يعنى إذا أسلم الحربى فى دار الحرب ولم يهاجر الينا فقتله مسلم خطأ تجب الكفارة بقتله للعصمة المؤثمة وهى الإسلام ولا تجب الدية لأن العصمة المقومة بالدار ولم توجد و إن كان أى

يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا (94)

النساء 92 - 94

المقتول من قوم بينكم بين المسلمين وبينهم ميثاق عهد فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة أى و إن كان المقتول ذميا فحكمه حكم المسلم وفيه دليل على أن دية الذمى كدية المسلم وهو قولنا فمن لم يجد رقبة أى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه إذا قبل توبته يعنى شرع ذلك توبة منه أو فليتب توبة فهى نصب على المصدر وكان الله عليما بما أم حكيما فيما قدر ومن يقتل مؤمنا متعمدا حال من ضمير القاتل أى قاصدا قتله لإيمانه وهو كفر أو قتله مستحلا لقتله وهو كفر أيضا فجزاؤه جهنم خالدا فيها أى إن جازاه قال عليه السلام هى جزاؤه إن جازاه والخلود قد يراد به طول المقام وقول المعتزلة بالخروج من الإيمان يخالف قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى وغضب الله عليه ولعنه أى انتقم منه وطرده من رحمته وأعدله عذابا عظيما لارتكابه امرا عظيما وخطبا جسما فى الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل المرىء مسلم يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله سرتم فى طريق الغزو فتبينوا فتثبتوا حمزة وعلى وهما من التفعل بمعنى الاستفعال أى اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تتهوكوا فيه ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام السلم مدنى وشامى وحمزة وهما الاستسلام وقيل الإسلام وقيل التسليم الذى هو تحية أهل الإسلام لست مؤمنا فى موضع النصب بالقول وروى أن مرداس بن نهيك أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا وبقى مرداس لثقتة بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى منعرج من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا و قتل قتلتموه إرادة ما معه ثم قرأ الآية على أسامة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هى حطام سريع النفاذ فهو الذى يدعوكم إلى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه والعرض المال سمى به لسرعة فنائه وتبتغون حال من ضمير الفاعل فى تقولوا فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الإسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل أو ما دخلتم

لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما (95) درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما (96) إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا (97)

النساء 94 - 97
فى الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم والكاف فى كذلك حبر كان وقد تقدم عليها وعلى اسمها فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان فافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل بكم فتبينوا كرر الأمر بالتبين ليؤكد عليهم إن الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا فى القتل وكونوا محترزين محتاطين فى ذلك لا يستوى القاعدون عن الجهاد من المؤمنين غير أولى الضرر بالنصب مدنى وشامى وعلى لأنه استثناء من القاعدين أو حال منهم وبالجر عن حمزة صفة للمؤمنين وبالرفع غيرهم صفة للقاعدين والضرر المرض أو العاهةومن عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم عطف على القاعدون ونفى التساوى بين المجاهد والقاعد بغير عذر و إن كان معلوما توبيخا للقاعد عن الجهاد وتحريكا له عليه ونحوه هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فهو تحريك لطلب العلم وتوبيخ على الرضا بالجهل فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين ذكر هذه الجملة بيانا للجملة الأولى مرضحة لما نفى من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل مالهم لا يستوون فأجيب بذلك درجة نصب على المصدر لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضلة كقولك ضربه سوطا ونصب وكلا أى وكل فريق من القاعدين والمجاهدين لأنه مفعول أول لقوله وعد الله والثانى الحسنى أى المثوبة الحسنى وهى الجنة و إن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وفضل الله المجاهدين على القاعدين بغير عذر أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة قيل انتصب أجرا بفضل لأنه فى

معنى أجرهم أجرا أو درجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا أو انتصب درجات نصب درجة كأنه قيل فضلهم تفطيلات كقولك ضربة أسواطا أى ضربات وأجرا عظيما على أنه حال من الكرة التى هى درجات مقدمة عليها مغفرة ورحمة باضمار فعلهما إى غفر لهم روحمهم مغفرة ورحمة حاصلة إن الله تعالى فضل المجاهدين على القاعدين بعذر درجة وعلى القاعدين بغير عذر بأمر النبى عليه السلام اكتفار بغيرهم درجات لأن الجهاد فرض كفاية وكان الله غفورا بتكفير العذر رحيما بتوفير الاجر ونزل فيمن أسلم ولم يهاجر حين كانت الهجرة فريضة وخرج مع المشركين إلى بدر مرتدا فقتل كافرا أن الذين توفاهم الملائكة يجوز أن يكون

إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا (98) فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا (99) ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما (100)

النساء 97 - 100
ماضيا لقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى نتوفاهم وحذفت الثانية لا جتماع التاءين والتوفى قبض الروح والملائكة ملك الموت وأعوانه ظالمى أنفسهم حال من ضمير المفعول في توفاهم أى فى حال ظلمهم أنفسهم بالكفر وترك الهجرة قالوا أى الملائكة للمتوفين فيم كنتم أى فى أى شيء كنتم فى امر دينكم ومعناه التوبيخ بأنهم لم يكونوا فى شيء من الدين قالوا كنا مستضعفين عاجزين عن الهجرة فى الأرض ارض مكة فأخرجونا كارهين قالوا أى الملائكة موبخين لهم ألم تكن أرض الله واسعة فنها جروا فيها أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التى لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصب فنها جروا على جواب الاستفهام فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا خبران فأولئك ودخول الفاء لما فى الذين من الإبهام المشابه بالشرط أو قالوا فيم كنتم والعائد محذوف أى قالوا لهم و الآية تدل على أن من لم يتمكن من إقامة دينه فى بلد كما يجب وعلم أنه

يتمكن من إقامته فى غيره حقت عليه المهاجرة وفى الحديث من فر بدينه من ارض إلى ارض و إن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة فى الخروج منها لفقرهم وعجزهم ولا يهتدون سبيلا ولا معرفة لهم بالمسالك ولا يستطيعون صفة للمستضعفين أو للرجال والنسا والولدان و إنما جاز ذلك والجمل نكرات لأن الموصوف و إن كان فيه حرف التعريف فليس بشئ بعينه كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبنى فأولئك عسى الله أن يعفوا عنهم وعسى و إن كان للاطماع فهو من الله واجب لأن الكريم إذا أطمع أنجز وكان الله عفوا غفورا لعباده قبل أن يخلقهم ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما مهاجرا وطريقا براغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك كثيرا وسعة فى الرزق أو فى إظهار الدين أو فى الصدر لتبدل الخوف بالأمن

وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا (101) وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا (102)

النساء 100 - 102
ومن يخرج من بيته مهاجرا حال من الضمير فى يخرج إلى الله ورسوله إلى حيث أمر الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل بلوغه مهاجره وهو عطف على يخرج فقد وقع أجره على الله أى حصل له الأجر بوعد الله وهو تأكيد للوعد فلا شيء يجب على الله لاحد من خلقه وكان الله غفورا رحيما قالوا كل هجرة لطلب علم أو حج أو

جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة أو زهدا أو ابتغاء رزق طيب فهى هجرة إلى الله ورسوله و إن أدركه الموت فى طريقه فقد وقع أجره على الله و إذا ضربتم فى الأرض سافرتم فيها فالضرب فى الأرض هو السفر فليس عليكم جناح حرج أن تقصروا فى أن تقصروا من الصلوة من أعداد ركعات الصلاة فتصلوا الرباعية ركعتين وظاهر الآية يقتضى أن القصر رخصة فى السفر والاكمال عزيمة كما قال الشافعى رحمه الله لأنه جناح يستعمل فى موضع التخفيف والرخصة لا فى موضع العزيمة وقلنا القصر عزيمة غير رخصة ولا يجوز الاكمال لقول عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم واما الآية فكأنهم ألفوا الاتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطليب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن خشيتم أى يقصدكم الكفار بقتل أو جرح أو اخذ والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج ظاهر النص وعند الجمهور ليس بشرط لما روى عن يعلى بن أمية أنه قال لعمر ما بالنا نقصر وقد أمنا فقال عجبت مما تعجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على أنه لا يجوز الاكمال فى السفر لأن التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد و إن كان المتصدق ممن لا تلزم طاعته كولى القصاص إذا عفا فمن تلزم طاعته أولى و لأن حالهم حين نزول الآية كذلك فنزلت على وفق الحال وهو كقوله إن أردنا تحصنا دليله قراءة عبد الله من الصلاة أن يفتنكم أى لئلا يفتنكم على أن المراد بالآية قصر الاحوال وهو أن يومى على الدابة عند الخوف أو يخفف القراءة والركوع والسجود والتسبيح كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا فتحرزوا عنهم و إذا كنت يا محمد فيهم فى أصحابك فأقمت لهم الصلوة فأردت أن تقيم الصلاة بهم وبظاهره تعلق أبو يوسف رحمه الله فلا يرى صلاة الخوف بعده عليه السلام وقالا الأئمة نواب عن رسول الله

فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

النساء 102 - 103
صلى الله عليه وسلم فى كل عصر فكان الخطاب له متناولا لكل إمام كقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم دليله فعل الصحابة رضى الله عنهم بعده عليه السلام فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم إحداهما معك فصل بهم وتقوم طائفة تجاه العدو وليأخذوا أسلحتهم أى الذين تجاه العدو عن ابن عباس رضى الله عنهما و إن كان المراد به المصلين فقالوا يأخذون من السلاح مالا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما فإذا سجدوا أى قيدوا ركعتهم بسجدتين فالسجود على ظاهره عندنا وعند مالك بمعنى الصلاة فليكونوا من ورائكم أى إذا صلت هذه الطائفة التى معك ركعة فليرجعوا ليقفوا بإزاء العدو ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فى موضع رفع صفة لطائفة فليصلوا معك أى ولتحضر الطائفة الواقعة بازاء العدو فليصلوا معك الركعة الثانية وليأخذوا حذرهم ما يتحرزون به من العدو كالدرع ونحوه وأسلحتهم جمع سلاح وهو ما يقاتل به وأخذ السلاح شرط عند الشافعى رحمه الله وعندنا مستحب وكيفية صلاة الخوف معروفة ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وامتعتكم أى تمنوا أن ينالوا منكم غرة فى صلاتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فيشدون عليكم شدة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا فى أن تضعوا أسلحتكم وتأخذوا حذركم رخص لهم فى وضع الأسلحة أن ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو أن الله أعد للكافرين عذابا مهينا أخبر أنه يهين عدوهم لتقوى قلوبهم وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لتوقع غلبتهم عليهم و إنما هو تعبد من الله تعالى فإذا قضيتم الصلوة فرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم أى دوموا على ذكر الله فى جميع الأحوال أو فإذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قياما أن قدرتم عليه وقعودا أن عجزتم عن القيام ومضطجعين إن عجزتم عن القعود فإذا اطمأننتم سكنتم بزوال الخوف فأقيموا

ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما (104) إنا

أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما (105) واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما (106) ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما (107) يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا (108)

النساء 103 - 107
الصلوة فأتموها بطائفة واحدة أو إذا أقمتم فأتموا ولا تقصروا أو إذا اطمأننتم بالصحة فأتموا القيام والركوع والسجود إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا مكتوبا محدودا بأوقات معلومة ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا فى ابتغاء القوم فى طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون أى ليس ما يجدون من الألم بالجرح ولقتل مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم أنهم يصبرون عليه فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم أجدر منهم بالصبر لأنكم ترجون من الله مالا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم فى الآخرة وكان الله عليما بما يجد المؤمنون من الألم حكيما فى تدبير أمورهم روى أن طعمه بن أبيرق أحد بنى ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودى فأخذوها فقال دفعها إلى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وقالوا أن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل فنزل إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق أى محقا لتحكم بين الناس بما أراك الله ما عرفك وأوحى به إليك وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله بما ألهمك بالنظر فى أصوله المنزلة وفيه دلالة جواز الاجتهاد فى حقه ولا تكن للخائنين لأجل الخائنين خصيما مخاصما أى ولا تخاصم اليهود لأجل بنى ظفر واستغفر الله مما هممت به إن الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون

أنفسهم يخونونها بالمعصية جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم لأن الضرر راجع اليهم والمراد به طعمة ومن عاونه من قومة وهم يعلمون أنه سارق أو ذكر بلفظ الجمع لتناول طعمة وكل من خان خيانته إن الله لا يحب من كان خوانا

ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا (109) ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما (110) ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما (111) ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا (112)

النساء 107 - 112
أثيما و إنما قيل بلفظ المبالغة لأنه تعالى عالم من طعمه أنه مفرط فى الخيانة وركوب المآثم وروى أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرف أهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل إذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم أن لها أخوات وعن عمر رضى الله عنه أنه أمر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكى وتقول هذه أول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت إن الله لا يؤاخذ عبده فى أول مرة يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم أنهم فى حضرته لا سترة ولا غيبة إذ يبيتون يدبرون وأصله أن يكون ليلا مالايرضى من القول وهو تدبير طعمة أن يرمى بالدرع فى دار زيد ليسرق دونه ويحلف أنه لم يسرقها وهو دليل على أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس حيث سمى التدبير قولا وكان الله بما يعملون محيطا عالما علم إحاطة ها أنتم هؤلاء ها للتنبيه فى أنتم واولاء وهما مبتدأ وخبر جادلتم خاصمتم وهى جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كقولك لبعض الأسخياء أنت حاتم تجود بمالك أو أولاء اسم موصول بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عنهم عن طعمة وقومه فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة فمن

يخاصم عنهم فى الآخرة إذا أخذهم الله بعذابه وقرئ عنه أى عن طعمة أم من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وعذابه ومن يعمل سوءا ذنبا دون الشرك أو يظلم نفسه بالشرك أو سوءا قبيحا يتعدى ضرره إلى الغير كما فعل طعمة بقتادة واليهودى أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب ثم يستغفر الله يسأل مغفرته يجد الله غفورا رحيما له وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه لأن وباله عليها وكان الله عليما حكيما فلا يعاقب الذنب غير فاعله ومن يكسب خطيئة صغيرة أو إنما أو كبيرة أو الأول ذنب بينه وبين ربه والثانى ذنب فى مظالم العباد ثم يرم به بريئا كما رمى

ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (113) لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما (114) ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (115) إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا (116)

النساء 112 - 115
طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا كذبا عظيما وإثما مبينا ذنبا ظاهرا وهذا لأنه يكسب الإثم آثم ويرمى البرئ باهت فهو جامع بين الامرين والبهتان كذب ببهت من قيل عليه مالا علم له به ولولا فضل الله عليك ورحتمه أى عصمته ولطفه من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بنى ظفر أو المراد بالطائفة بنو ظفر والضمير فى منهم يعود إلى الناس أن يضلوك عن القضاء بالحق وتوخى طريق العدل مع علمهم بأن الجانى صاحبهم وما يضلون إلا أنفسهم لأن وباله عليهم وما يضرونك من شيء لأنك إنما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك وأنزل الله عليك الكتبا القرآن والحكمة والسنة وعلمك مالم تكن تعلم من امور الدين

والشرائع أو من خفيات الأمور وضمائر القلوب وكان فضل الله عليك عظيما فيما علمك وأنعم عليك لا خير فى كثير من نجواهم من تناجى الناس إلا من أمر بصدقه إلا نجوى من أمر وهو مجرور و بدل من كثير أو من نجواهم أو منصوب على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقه خفي نجواه الخير أو معروف أى قرض أو إغاثة ملهوف أو كل جميل أو المراد بالصدقة الزكاة وبالمعروف التطوع أو إصلاح بين الناس أى إصلاح ذات البين ومن يفعل ذلك المذكور ابتغاء مرضات الله طلب رضا الله وخرج عنه من فعل ذلك رياء أو ترؤسا وهو مفعول له والاشكال أنه قال إلا من أمر ثم قال ومن يفعل ذلك والجواب أنه ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به فى زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالأجر العظيم أو المراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الأمر بالفعل فسوف نؤتيه أجرا عظيما يؤتيه أبو عمرو وحمزة ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل وظهور الرشد ويتبع غير سبيل المؤمنين أى السبيل الذى عليه من الدين الحنيفى وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لأن الله تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة

إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا (117) لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا (118) ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا (119) يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا (120)

النساء 115 - 121
الرسول فى الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال وندعه وما اختاره فى الدنيا ونصله جهنم فى العقبى وساءت مصيرا قيل هى فى طعمة وارتداده إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مر تفسيره فى هذه السورة ومن يشرك بالله فقد ضلا ضلالا بعيدا عن الصواب إن يدعون من دونه ما يعبدون من دون الله

إلا إناثا جمع أنثى وهى اللات والعزى ومناة ولم يكن حى من العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى أصنامهم هن بنات الله و إن يدعون يعبدون إلا شيطانا لأنه هو الذى أغراهم على عبادة الأصنام فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة مريدا خارجا عن الطاعة عاريا عن الخير ومنه الأمرد لعنه الله وقال لأتخذن صفتان يعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذ القول الشنيع من عبادك نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وواحدا لله ولأضلنهم بالدعاء إلى الضلالة والتزيين والوسوسة ولو كان إنفاذ الضلالة إليه لأضل الكل ولأمنينهم ولألقين فى قلوبهم الأمانى الباطلة من طول الأعمار وبلوغ الآمال ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام البتك القطع والتبتيك للتكثير والتكرير أى لأحملنهم على أن يقطعوا آذان الأنعام وكانوا يشقون آذان الناقة إذا ولدت خسمة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها ولأمرنهم فليغيرين خلق الله بفقء عين الحامى وإعفائه عن الركوب أو بالخصاء وهو مباح فى البهائم محظور فى بنى آدم أو بالوشم أو بنفى الأنساب واستلحاقها أو بتغيير الشيب بالسواد أو بالتحريم والتحليل أو بالتخنث أو بتبديل فطرة الله التى هى دين الإسلام لقوله لا تبديل لخلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله وأجاب إلى ما دعاه إليه فقد خسر خسانا مبينا فى الدارين يعدهم يوسوس اليهم أن لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ويمنيهم مالا ينالون وما يعدهم الشيطان إلا غرورا هو أن يرى شيئا يظهر خلافه أولئك مأواهم جهنم

أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا (121) والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا (122) ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا (123) ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا (124) ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا (125)

النساء 121 - 125
ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومفرا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولم يتبعوا الشيطان فى الأمر بالكفر سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وقرأ النخعى سيدخلهم وعد الله حقا مصدران الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن أصدق من الله قيلا قولا وهو استفهام بمعنى النفى أى لا أحد أصدق منه وهو تأكيد ثالث وفائدة هذه التوكيدات مقابلة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ليس بأمانيكم ليس الأمر على شهواتكم وأمانيكم أيها المشركون أن تنفعكم الأصنام ولا أمانى أهل الكتباب ولا على شهوات اليهود والنصارى حيث قالوا أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار إلا أياما معدودة من يعمل سوءا يجز به أى من المشركين و أهل الكتاب بدليل قوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وهذا وعيد للكفار لأنه قال بعده ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فقوله وهو مؤمن حال ومن الأولى للتبعيض والثاينة لبيان الإبهام فى من يعمل وفيه إشارة إلى أن الأعمال ليست من الإيمان فأولئك يدخلون الجنة يدخلون فكي و أبو عمرو و أبو بكر ولا يظلمون نقيرا قدر النقير وهو النقرة فى ظهر النواة والراجع فى ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا وجاز أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دليلا على ذكره عند الآخر وقوله ومن يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمنى أهل الكتاب كقوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه وهو محسن عامل للحسنات واتبع ملة إبراهيم حنيفا مائلا عن الأديان الباطلة وهو حال من المتبع أو من إبراهيم واتخذ الله إبراهيم خليلا هو الأصل المخال وهو الذى يخالك أى يوافقك فى خلالك أو يداخلك خلال منزلك أو يسد خللك كما يسد خلله فالخلة صفاء مودة توجب الاختصاص بتخلل الأسرار والمحبة أصفى لأنها من حبة

ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا (126) ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون

أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما (127) وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا (128)

النساء 126 - 128
القلب وهى جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كقوله والحوادت جملة وفائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته وطريقته لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته ولوجعلتها معطوفة على الجمل قبلها لم يكن لها معنى وفى الحديث اتخذ الله إبراهيم خليلا لاطعامه الطعام وإفشائه السلام وصلاته بالليل والناس نيام وقيل أوحى إليه إنما اتخذتك خليلا لأنك تحب أن تعطى ولا تعطى وفى رواية لأنك تعطى الناس ولا تسألهم وفى قوله ولله ما فى السموات وما فى الأرض دليل على أن اتخاذه خليلا لا يحتاج الخليل إليه لالاحتياجه تعالى لأنه منزه عن ذلك وكان الله بكل شىء محيطا عالما ويستفتونك فى النساء ويسألونك الافتاء في النساء والافتاء تبين المبهم قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء أى الله يفتيكم والمتلو فى الكتاب أى القرآن فى معنى اليتامى يعنى قوله و إن خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى وهو من قولك أعجبنى زيد وكرمه وما يتلى فى محل الرفع بالعطف على الضمير فى يفتيكم أو على لفظ الله وفى يتامى النساء صلة يتلى أى يتلى عليكم فى معناهن ويجوز أن يكون فى يتامى النساء بدلا من فيهن والإضافة بمعنى من اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه وما لها فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال و إن كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون أن تنكوهن فى أن تنكحوهن لجمالهن أو عن أن تنكحوهن لدمامتهن والمستضعفين من الولدان أى اليتامى وهو مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا فى الجاهلية إنما يؤرثون الرجال القوام بالأمور دون الأطفال والنساء وان تقوموا لليتامى مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم فى يتامى النساء وفى المستضعفين وفى أن تقوموا أو منصوب بمعنى ويأمركم أن تقوموا وهو خطاب للأئمة فى أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم

حقوقهم بالقسط بالعدل فى ميراثهم ومالهم وما تفعلوا من خير شرط وجوابه فإن الله كان به عليما أى فيجازيكم عليه و إن امرأة خافت من بعلها نشوزا توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايلة وامارته والنشوز أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته وأن يؤذيها بسبب أو ضرب أو اعراضا عنها بأن يقل محاذثتها ومؤانستها بسب كبر سن أو دمامة أو سوء فى خلق أو خلق أو ملال أو طموح

ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما (129) وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما (130)

النساء 128 - 130
عين إلى أخرى أو غير ذلك فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما كوفى يصالحا غيرهم أى يتصالحا وهو أصله فأبدلت التاء صاداء وأدغمت صلحا فى معنى مصدر كل واحد من الفعلين ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو عن بعضها أو تهب له بعض المهر أو كله أو النفقة والصلح خير من الفرقة أو من الشوز أو من الخصومة فى كل شيء أو والصلح خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض كقوله وأحضرت الأنفس الشح أى جعل الشح حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعنى أنها مطبوعة عليه والمراد أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمها والرجل لا يكاد يسمع بأن يقسم لها إذا رغب عنها فكل واحد منهما يطلب ما فيه راحته وأحضرت يتعدى إلى مفعلوين والأول الأنفس ثم حث على مخالفة الطبع ومتابعة الشرع بقوله و إن تحسنوا بالإقامة على نسائكم و إن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدى إلى الأذى والخصومة فإن الله كان بما تعملون من الإحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم عليه وكان عمر الخارجى من أدم بني آدم وامرأته من أجملهم فنظرت إليه وقالت الحمد لله على أنى واياك من اهل الجنة قال كيف فقالت لانك رزقت مثلى فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والجنةموعودة للشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين

النساء ولن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل ألبتة فتمام العدل أن يسوى بينهن بالقسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والمحالمةوالمفاكهة وغيرها وقيل معناه أن تعدلوا فى المحبة وكان عليه السلام يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا أملك يعنى المحبة لأن عائشة رضى الله عنها كانت أحب إليه ولو حرصتم بالغتم فى تحرى ذلك فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمها من غير رضا منها يعنى أن اجتناب كل الميل فى حد اليسر فلا تفرطوا فيه و إن وقع منكم التفريط فى العدل كله وفيه ضرب مع التوبيخ وكل نصب على المصدر لأن له حكم ما يضاف إليه فتذروها كالمعلقة وهى التى ليست بذات بعل ولا مطلقة و إن تصلحوا بينهن وتتقوا الجور فإن الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ميل قلوبكم ويرحمكم فلا يعاقبكم وان يتفرقا أى أن لم يصطلح الزوجان على شيء وتفرقا بالخلع أو بتطليقه إياها وإيفائه مهرها ونفقة عدتها يغن

ولله ما في السماوات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا (131) ولله ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (132) إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا (133) من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا (134) يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا (135)

النساء 130 - 135
الله كلا كل واحد منهما من سعته من غناه اى يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنأ من عيشه وكان الله واسعا بتحليل النكاح حكيما بالإذن فى السراح فالسعة الغنى والقدرة والواسع الغنى ثم المقتدر بين غناه وقدرته بقوله ولله ما فى السموات وما فى الأرض خلقا

والمتملكوت عبيده رقا ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب هو اسم للجنس فيتناول الكتب السموایة من قبلكم من الأمم السالفة وهو متعلق بوصينا أو بأوتوا واياكم عطف على الذين أوتوا أن اتقوا الله بأن اتقوا أو تكون أن المفسرة لأن التوصية فى معنى القول والمعنى أن هذه وصية قديمة ما زال يوصى اله عنها عباده ولستم بها مخصوصين لأنهم بالتقوى يسعدون عنده و إن تكفروا عطف على اتقوا لأن المعنى أمر ناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم إن تكفروا فإن لله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله غنيا عن خلقه وعن عبادتهم حميدا مستحقا لأن يحمد لكثرة نعمه و إن لم يحمده أحد وتكرير قوله لله ما فى السموات وما فى الأرض تقرير لما هو موجب تقواه لأن الخلق لما كان كله له وهو خالقهم ومالكهم فحقه أن يكون مطاعا فى خلقه غير معصى وفيه دليل على أن التقوى أصل الخير كله وقوله و إن تكفروا عقيب التقوى دليل على أن المراد الاتقاء عن الشرك ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا فاتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره ثم خوفهم وبين قدرته بقوله إن يشأ يذهبكم يعدمكم أيها الناس ويأت بآخرين ويوجد إنسا آخرين مكانكم أو خلقا آخرين غير الإنس وكان الله على ذلك قديرا بليغ القدرة من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعندالله ثواب الدنيا والآخرة فماله يطلب أحدهما دون الآخر والذى يطلبه أخسهما وكان الله سميعا للاقوال بصيرا بالأفعال وهو وعد ووعيد يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين فى إقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء خبر بعد خبر لله أى تقيمون شهاداتكم لوجه

يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (136) إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (137)

النساء 135 - 137
الله ولو على أنفسكم ولو كانت الشهادة على أنفسكم والشهادة

على نفسه هى الإقرار على نفسه لأنه فى معنى الشهادة عليها بالزام الحق وهذا لأن الدعوى والشهادة والإقرار يشترك جميعها فى الاخبار عن حق لأحد على أحد غير أن الدعوى اخبار عن حق لنفسه على الغير والإقرار للغير على نفسه والشهادة للغير على الغير أو الوالدين والأقربين أى ولو كانت الشهادة على آبائكم وأمهاتكم وأقاربكم إن يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه أو فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله أولى بهما بالغنى والفقير أى بالنظر لهما والرحمة و إنما ثنى الضمير فى بهما وكان حقه أن يوحد لأن المعنى إن يكن أحد هذين لأنه يرجع إلى ما دل عليه قوله غنيا أو فقيرا وهو جنس الغنى والفقير كأنه قيل فالله أولى بجنسى الغنى والفقير أى بالأغنياء والفقراء فلا تتبعوا الهوى إرادة إن تعدلوا عن الحق من العدول أو كراهة أن تعدلوا بين الناس من العدل و إن تلوا بواو واحدة وضم اللام شامى وحمزة من الولاية أو تعرضوا أى و إن وليتم إقامة الشهادة أو أعرضتم عن إقامتها غيرهما تلووا بواوين وسكون اللام من اللى أى و إن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل أو تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها فإن الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا أيها الذين آمنوا خطاب للمسلمين آمنوا اثبتوا على الإيمان ودوموا عليه أو لأهل الكتاب لأنهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض أو المنافقين أى يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا إخلاصا بالله ورسوله أى محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب الذى نزل على رسوله أى الفرقان والكتبا الذى أنزل من قبل أى جنس ما أنزل على الأنبياء قبله من الكتب ويدل عليه قوله وكتبه نزل و أنزل بالبناء للمفعول مكى وشامى و أبو عمرو وعلى البناء للفاعل فيهما غيرهم و إنما قيل نزل على رسوله و أنزل من قبل لأن الفرقان نزل مفرقا منجما فى عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أى ومن يكفر بشئ من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا لأن الكفر ببعضه كفر بكله إن الذين آمنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا حين

بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (138) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (139) وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا

مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (140) الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (141)

النساء 137 - 141
عبدوا العجل ثم آمنوا بموسى من بعد عوده ثم كفروا بعيسى عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا إلى النجاة أو إلى الجنة أو هم المنافقون آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد أخرى وازدياد الكفر منهم ثباتهم عليه إلى الموت يؤيده قوله بشر المنافقين أى أخبرهم ووضع بشر مكانه تهكما بهم بأن لهم عذابا اليما مؤلما الذين نصب على الذم أو رفع بمعنى اريد الذين أوهم الذين يتخذون الكافرين أولياءمن دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة كان المنافقون يوالون الكفرة يطلبون منهم المنعة والنصرة ويقولون لا يتم أمر محمد عليه السلام فإن العزة لله جميعا ولمن أعزه كالنبى عليه السلام والمؤمنين كما قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم بفتح النون عاصم وبضمها غيره فى الكتاب القرآن أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره حتى يشرعوا فى كلام غير الكفر والاستهزاء بالقرآن والخوض الشروع و أن مخففة من الثقيلة أى أنه إذا سمعتم أى نزل عليكم أن الشأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها و أن مع ما فى حيزها فى موضع الرفع بنزل أو فى موضع النصب بنزل والمنزل عليهم فى الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله و إذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون فى ذكر القرآن فى مجالسهم فيستهزءون به فنهى المسلمون عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين بمكة فنهوا أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة إنكم إذا مثلهم أى فى الوزر إذا مكثتم معهم ولم يرد به التمثيل من كل وجه فإن خوض المنافقين فيه كفر ومكث هؤلاء معهم معصية أن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا لاجتماعهم فى الكفر

والاستهزاء الذين بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم يتربصون بكم ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو اخفاق فإن كان لكم فتح من الله نصرة وغنيمة قالوا ألم نكن معكم مظاهرين

إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (142) مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (143) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا (144) إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا (145)

النساء 141 - 144
فاشركونا فى الغنيمة و إن كن للكافرين نصيب سمى ظفر المسلمين فتحا لشأنهم لأنه أمر عظيم تفتح له ابواب السماء وظفر الكافرين نصيبا تخسيسا لحظهم لأنه لمظة من الدنيا يصيبونها قالوا للكافرين ألم نستحوذ عليكم ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء والغلبة ونمنعكم من المؤمنين بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت قلوبهم به ومرضوا عن قتالكم وتوانينا ف مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم فالله يحكم بينكم أيها المؤمنون والمنافقون يوم القيامة فيدخل المنافقين النار والمؤمنين الجنة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا أى فى القيامة بدليل أول الآية كذا عن على رضى الله عنه أو حجة كذا عن ابن عباس رضى الله عنهما إن المنافقين يخادعون الله أى يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وابطال الكفر والمنافق من اظهر الإيمان وأبطن الكفر أو أولياء الله وهم المؤمنون فأضاف خداعهم إلى نفسه تشريفا لهم وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل المغالب فى الخداع حيث تركهم معصومى الدماء والأموال فى الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار فى العقبى والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يجزيهم جزاء خداعهم و إذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كراهة أما الغفلة فقد يبتلى بها المؤمن وهو جمع كسلان كسكارى فى سكران يراءون

الناس حال أى يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة والمارءاة مفاعلة من الرؤية لأن المرائى يريهعم عمله وهم يرونه استحسانا ولا يذكرون الله إلا قليلا ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس أو لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل إلا ذكرا قليلا نادرا قال الحسن لو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثير مذبذبين نصب على الذم اى مررددين يعنى ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذى يذب عن كلا الجانبين أى يدفع فلا يقر فى جانب واحد إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس فى الذب بين ذلك بين الكفر و الإيمان لا إلى هؤلاء لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا إلى هؤلاء ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسموا مشركين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا طريقا إلى الهدى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين

إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما (146) ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما (147) لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما (148) إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا (149)

- النساء 144
أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فى تعذيبكم إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار أى فى الطبق الذى فى قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض و إنما كان المناقق أشد عذابا من الكافر لأنه أمن السيف فى الدنيا فاستحق الدرك الأسفل فى العقبى تعديلا و لأنه مثله فى الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله والدرك بسكون الراء كوفى غير الأعشى وبفتح الراء غيرهم وهما لغتان وذكر الزجاج أن الاختيار فتح الراء ولن تجدلهم نصيرا يمنعهم من العذاب إلا الذين تابوا من النفاق وهو استثناء من الضمير المجرور فى ولن تجد لهم نصيرا وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم فى حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق

المؤمنون الخالص ! فى الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما فيشاركونهم فيه وحذفت الياء فى الخط هنا اتباعا للفظ ثم استفهم مقررا أنه لا يع1ب المؤمن الشاكر فقال ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم لله وآمنتم به فما منصوبة بيفعل أى شيء يفعل بعذابكم فالإيمان معرفة المنعم والشكر الاعتراف بالنعمة والكفر بالمنعم والنعمة عنادفلذا استحق الكافر العذاب وقدم الشكر على الإيمان لأن العاقل ينظر إلى ما ليه من النعمة العظيمة فى خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الإيمان وكان الله شاكرا يجزيكم على شكركم أو يقبل اليسير من العلم ويعطى الجزيل من الثواب عليما عالما بما تصنعون لايحب الله الجهر بالسوء من القول ولا غير الجهرولكن الجهر أفحش إلا من ظلم إلا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذى لا يحبه الله جهر المظلوم وهو أن يدعوا على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل الجهر بالسوء من القول هو الشتم إلا من ظلم فانه أن رد عليه مثله فلا حرج عليه ولمن انتصر بعد ظلمه وكان الله سميعا لشكوى المظلوم عليما بظلم الظالم ثم حث على العفو و أن لا يجهر أحد لأحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما أطلق الجهر به حثا على الأفضل وذكر ابداء الخير وإخفاءه تسبيبا للعفو فقال إن تبدوا خيرا

إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا (150) أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا (151) والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما (152) يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا (153)

مكان جهر السوء أو تخفوه فتعملوه سرا ثم عطف العفو عليهما فقال أو تعفو عن سوء أى تمحوه عن قلوبكم والدليل على أن العفو هو المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فإن الله كان عفوا قديرا أى أنه لم يزل عفوا عن الآثام مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنته أن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام والانجيل و القرآن وكالنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أى دينا وسطا بين الإيمان والكفر ولا واسطة بينهما أولئك هم الكافرون هم الكاملون فى الكفر لأن الكفر بواحد كفر بالكل حقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هذا عبد الله حقا أى حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين فى الكفر أو هو صفة لمصدر الكافرين أى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا فى الآخرة والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم و إنما جاز دخول بين على أحد لأنه عام فى الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما أولئك سوف نؤتيهم وبالياء حفص أجورهم أى الثواب الموعود لهم وكان الله غفورا يستر السيئات رحيما يقبل الحسنات الآية تدل على بطلان قول المعتزلة فى تخليد المرتكب الكبيرة لأنه أخبر أن من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين احد منهم يؤتيه أجره ومرتكب الكبيرة ممن آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد فيدخل تحت الوعد وعلى بطلان قول من لا يقول بقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة لأنه قال وكان الله غفورا رحيما وهم يقولون ما كان الله غفورا رحيما فى الأزل ثم صار غفورا رحيما ولما قال فنحاص وأصحابه للنبى صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام نزل يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم وبالتخفيف مكى و أبو عمرو كتابا من السماء أى جملة كما نزلت التوراة جملة و إنما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت وقال الحسن ولو سألوه مسترشدين لأعطاهم لأن انزال القرآن جملة ممكن فقد سألوا موسى اكبر من ذلك هذا جواب شرط مقدر معناه أن